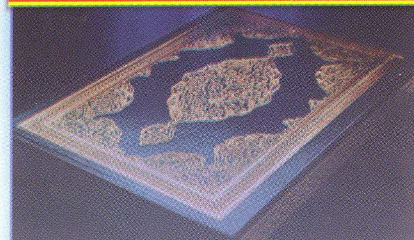
التوحيد

مجلة إسلامية ثقافية شهرية تصدر عن جماعة أنصار السنة المحمدية العدد ٤٨٧ - السنة الحادية والأربعون- رجب ١٤٣٣ هـ
الثمن جنيهان

حُرمة دماء المسلمين



الروح الرياسية!!



بل الساعة موعدهم

بدع شهر رجب

من تختار للرئاسة؟

بسم الله الرحمن الرحيم

فاعلم أنه لا إله إلا الله

صاحبة الامتياز

جماعة أنصار السنة المحمدية

السنة الحادية والأربعون

العدد ٤٨٧

رجب ١٤٣٣هـ



التحرير

٨ شارع قولة عابدين ـ القاهرة

ت: ٢٣٩٣٦٥١٧ ـ فاكس: ٢٣٩٣٠٦٦٢

قسم التوزيع والاشتراكات

ت: ٢٣٩٣٦٥١٧

ISHTRAK.TAWHEED@YAHOO.COM

المركز العام:

هاتف: ٢٣٩١٥٥٧٦-٢٣٩١٥٤٥٦

WWW.ANSARALSONNA.COM

السلام عليكم

الروح الرياسية!!

بعدما رحل عثمان بن عفان عن دنيا الخلافة والرياسة، أتى المصريون عليًا رضي الله عنه ليكون خليفة المسلمين فاختبأ منهم في بساتين المدينة، وطلب الكوفيون الزبير بن العوام فباعدهم وتبرأ من مقالتهم، ويطلب البصريون طلحة رضي الله عنه ففر منهم وتبرأ من مقالتهم، فجاء الناس سعد بن أبي وقاص فهرب منهم، فأتوا عبد الله بن عمر فقال: إن لهذا الأمر انتقامًا والله لا أتعرض له، التمسوا غيري...

فما بال مرشحينا يسعون إليها ويحرصون عليها؟!

نتمنى للمرشحين للرياسة أن يعلموا حجم ما هم مقبلون عليه من خطر المسئولية: «إنها أمانة، وإنها خزي وندامة يوم القيامة».

ونتمنى للخائضين غمار هذا المعترك ألا يتقوى أحدهم باسم فلان من الناس أو بصورته ادِّعاءً وبخلاف الحقيقة، وليستمد الولاية والتأييد من العزيز الحميد: « إِنَّ وَلِـِّۧيَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ » [الأعراف: ١٩٦]، وليجعل توفيقه أيضًا من الله «وَمَا تَوْفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِ» [هود: ٨٨].

كما نتمنى لمن لم يولّه الله هذا المنصب أن يكون شعوره وشعاره: « وَقَالُواْ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ » [فاطر: ٣٤].

ونسأل الله ألا تنتهي أمانينا في مرشحينا عند قول هادينا: «لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ»!!

التحرير

رئيس التحرير
جمال سعد حاتم

مدير التحرير الفني
حسين عطا القراط

في هذا العدد



ثمن النسخة

مصر ٢٠٠ قرشاً ، السعودية ٦ ريالات ، الامارات ٦ درهم ، الكويت ٥٠٠ فلس، المغرب دولار أمريكي ، الاردن ٥٠٠ فلس، قطر٦ ريالات ، عمان نصف ريال عماني ، أمريكا ٢ دولار ، أوروبا ٢ يورو

الاشتراك السنوي

١- في الداخل٣٠ جنيهاً بحوالة فورية باسم مجلة التوحيد . على مكتب بريد عابدين مع إرسال صورة الحوالة الفورية على فاكس مجلة التوحيد ومرفق بها الاسم والعنوان ورقم التليفون
٢- في الخارج٢٥ دولارا أو ١٠٠ ريال سعودى أو مايعادلهما.

ترسل القيمة بسويفت أو بحوالة بنكية أو شيك على بنك فيصل الاسلامى فرع القاهرة. باسم مجلة التوحيد. أنصار السنة، حساب رقم / ١٩١٥٩٠،

البريد الإلكتروني
MGTAWHEED@HOTMAIL.COM
رئيس التحرير:
GSHATEM@HOTMAIL.COM

بشرى سارة

تعلن إدارة المجلة عن رغبتها في تفعيل التواصل بينها وبين القراء في كل ما يتعلق بالأمور الشرعية لعرضها على لجنة الفتوى ونشرها بالمجلة على البريد الإلكتروني التالي:
q.tawheed@yahoo.com

التوزيع الداخلي: مؤسسة الأهرام وفروع أنصار السنة المحمدية مطابع الأهرام التجارية - قليوب - مصر

افتتاحية العدد

نظرات في عقائد النصيرية

الحلقة الأولى

بقلم/ الرئيس العام
د/ عبدالله شاكر الجنيدي
www.sonna_banha.com

الحمد لله مالك الملك، خالق الكائنات، المتفرد بالجلال والكمال، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن نبينا وحبيبنا محمدًا رسول الله صلى الله وسلم عليه وعلى آله الأطهار وصحابته الأخيار، وبعدُ:

فقد تحدثت في لقاء سابق عن النصيرية، مشيرًا إلى طرف يسير من أفعالهم المنكرة، وقد طلب مني البعض أن أذكر أيضا شيئًا من عقائدهم وعباداتهم لتعرف الأمة ضلالهم وانحرافهم، وعليه أقول:

إن النصيرية تعتبر مذهبها سرًا من الأسرار التي لا تُكشف لغيرهم، ويبالغون في كتمان معتقداتهم، ومن يُظهر شيئًا منها يكون جزاؤه القتل كما فُعل مع «سليمان النصيري» الذي كان منهم، ثم تنصر وفضحهم في كتابه «الباكورة السليمانية»، فقتلوه حرقًا في ساحة عامة، وما ذلك إلا لمعرفته بالشرك والوثنية التي هم عليها، ولا يحبون أن يطلع أحد عليها سواهم، وهذا أمر ينكره كل مؤمن صادق في عقيدته، والذي يحترم عقيدته ومنهجه ويرى سلامته وصحته لا يكتمه عن أحد.

ويعرض السيد محمد الطويل سبب كتمانهم لعقيدتهم على لسان أحدهم فيقول: «إنه لما أعلن كمال الإسلام كان لا يزال بعض العقائد مكتومًا وخفيًا، ولذلك بقي إلى هذا اليوم مكتومًا لخصوصيته، وبتعبير أصح: إن بقاء عقيدة العلويين مكتومة هو من كمال الإسلام، وإعلانها مضرٌ به؛ لأن الرسول صلى الله عليه وسلم بشّر المؤمنين بولاية عليّ، وبذلك كمل الإسلام، ولكنه بقي حريصًا على كتمان البقية، ولذلك كان كتمان البقية من كمال الإسلام أيضًا». [إسلام بلا مذهب/ ٢٩٤].

أبرز معتقداتهم الفاسدة:

ومن أبرز معتقداتهم الفاسدة: تأليه الأئمة من آل البيت، غير أنهم - كما ذكر الشهرستاني عنهم - خصوا عليًا بالإلهية، لأنه كان مخصوصًا بتأييد من عند الله يتعلق بباطن الأسرار، وأن الله حل فيه، وهو الذي ظهر الإله بصورته وخلق بيده وأمر بلسانه، ومن هنا ذهبوا إلى أن عليًا كان موجودًا قبل خلق السماوات والأرض. [الملل والنحل للشهرستاني على هامش الفصل ج٢/٢٥].

عقيدة النصيرية في علي بن أبي طالب:

وهم يعتقدون أن عليًا هو الذي خلق محمدًا صلى الله عليه وسلم، ومحمدًا خلق سلمان الفارسي، وسلمان خلق الأيتام الخمسة الذين بيدهم مقاليد السماوات والأرض، وهم: المقداد، وهو رب الناس وخالقهم الموكل بالرعود والصواعق، وأبو ذر الغفاري الموكل بدوران الكواكب والنجوم، وعبد الله بن رواحة الموكل بالرياح وقبض أرواح البشر، وعثمان بن مظعون الموكل بالمعدة وحرارة الجسد وأمراض الإنسان، وقنبر بن كادان الموكل بنفخ الأرواح في الأجسام. [انظر طائفة النصيرية ص٤٧].

وعلي عندهم إمام في الظاهر إله في الباطن، لم يلد ولم يولد ولم يمت ولم يُقتل، ولا يأكل أو يشرب، وأنه ما من مؤمن إلا وتحمل روحه إلى الإمام عليّ فينظر فيها، فإذا كان مؤمنًا ممتحنًا صافيًا صعدت الملائكة بروحه إلى السماء فتغمسها في عين على باب الجنة اسمها عين الحياة.

ويستدلون على ألوهية الإمام عليّ بما حصل له من كرامات، كقلع باب خيبر، وشجاعته الحربية، وزعموا أنه كان يكلم الجن.

ويتجلى تأليههم للإمام عليّ في أدعيتهم الركيكة الخالية عن العقل والتي تسمى سورًا عندهم. وقد جاء في السورة الكبيرة ما يلي: «أول معرفتي بالله أشهد شهادة تقية نقية بأن لا إله إلا الله إلا

مولاي ومولاك أمير النَّحل عليّ، ولا حجاب إلا السيد محمد، ولا باب إلا السيد سلمان، وأشهد أن الله عليًا ربي يحيي ويميت، وهو الحي الذي لا يموت، بيده الخير وهو على كل شيء قدير».

ويقصدون بالحي الذي لا يموت: عليًا - رضي الله عنه - ويفسرون موته بخلعه للتقمص البشري الذي تخلص منه على يد «عبد الرحمن بن ملجم» قاتله، ولذلك هم يحبونه ويترضون عليه، ويخطِّئون من يلعنه!!

وقد حاك هؤلاء بعض الأساطير حول ألوهية «علي» رضي الله عنه، ومن ذلك أن عليًا أرسل جابر بن يزيد الجعفي في قضاء غرض له، فلما أن وصل إلى الموضع المقصود رأى عليّ بن طالب جالسًا على كرسي من نور والسيد محمد - يعني النبي صلى الله عليه وسلم - عن يمينه، والسيد سلمان الفارسي عن شماله، ثم التفت جابر إلى ورائه فرآه هكذا، ثم نظر عن يمينه فرآه أيضًا، ثم نظر إلى السماء فرآه في السماء والملائكة أمامه يسبحون بحمده ويسجدون له. [الباكورة السليمانية ص٢٨٧].

وقد اختلف النصيريون في مكان عليّ بعد أن تخلص من صورته البشرية فذهب بعضهم إلى أنه حل في القمر، بل القمر نفسه هو عليّ، ولذلك يعبدونه، ومنهم من ذهب إلى أنه حل في الشمس، بل الشمس نفسها هي عليّ، ولذلك عبدوها أيضا، ومن هنا قال مدير مدرسة نصيري حينما سمع بوصول رواد الفضاء من الأمريكان وغيرهم إلى سطح القمر: «إن كان ما ذكروه حقًا أن القمر مكون من جمادات فعلى الدين السلام، وغضب لربه، وقال في ذمه لهذه الكشوفات عن القمر: الآن ينتهي مفعول الدين إذا أثبتت هذه الكشوفات كونه مجموعة من التلفيقات». [فرق معاصرة ج٤٢٠/١].

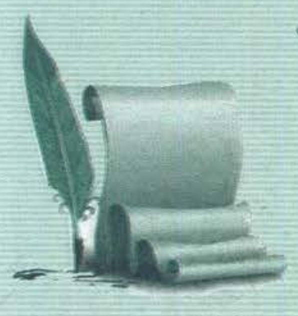
ونظرًا لأن هؤلاء يؤلهون البشر، فلا بأس عندهم من تعدد الآلهة، ولهذا وجدنا رجلاً منهم في القرن الماضي يدَّعي الألوهية لنفسه، وهو المدعو «سلمان المرشد» وله جماعة تسمى «المرشدية»، وكانوا يخرون ساجدين له، وكان الاحتلال الفرنسي للشام وراء هذه الألوهية المزيفة، والمستشار الفرنسي كان يسجد مع الساجدين لسلمان ويخاطبه قائلاً: «يا إلهي»، وقد مثَّل سلمان زعمه للألوهية بطريقة شيطانية، حيث كان يلبس ثيابًا فيها أزرار كهربائية ويحمل في جيبه بطارية صغيرة متصلة بالأزرار، فإذا أوصل التيار أضاءت الأنوار من الأزرار فيخر له أنصاره ساجدين. [انظر إسلام بلا مذاهب: ٢٩٧].

كما تلقب سلمان هذا أيضًا بلقب الرب، وأسس حكومة نصيرية بمساعدة الاستعمار الفرنسي ليواجه بها الشعب السني في بلده سورية، وبعد هلاك هذا المتاله اله أتباعه ابنه مجيب الأكبر بن سلمان المرشد، وكانوا يقولون عند ذبح أحدهم ذبيحة: باسم «مجيب الأكبر» من يدي لرقبة أبي بكر وعمر. [انظر طائفة النصيرية ٥٤].

عقيدة النصيرية في الحلول والاتحاد:

ومن المعتقدات الفاسدة لدى هذه الطائفة القول بالحلول وأن الله تجلى للمرة الأخيرة لعليّ، كما تجلى قبل ذلك لهابيل وشيث وسام، واتخذ في كل دور رسولاً ناطقا تمثل على الترتيب في آدم ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى، وهذه الطائفة لا تؤمن بيوم القيامة وما يقع فيه من حساب وجزاء، ولذلك قالوا بتناسخ الأرواح، وقد بيّن النوبختي فكرة التناسخ عند القائلين بها فقال: «هم أهل القول بالدور في هذه الدار وإبطال القيامة والبعث والحساب، وزعموا أن لا دار إلا الدنيا، وأن القيامة: إنما هي خروج الروح من بدن ودخوله في بدن آخر غيره إن خيرًا فخير وإن شرًا فشر، وأنهم مسرورون في هذه الأبدان أو معذبون فيها».. هكذا أبد الأبد، فهي جنتهم ونارهم، لا

يعتقد النصيريون أن عليًا إله!! فيقولون في أورادهم: أشهد أن عليًا ربي يحيي ويُميت، وهو الحي الذي لا يموت!! ويفسرون موته على يد عبد الرحمن ابن ملجم؛ بأنه خلع التقمص البشري وتخلص منه!!



من عقائد النصيريين أنهم لا يؤمنون بيوم البعث، ولا ما يقع فيه من جزاء ولا حساب، وأن القيامة هي خروج روح من بدن إلى بدن آخر غيره، وأن أصحاب هذه الأبدان مسرورون فيها أو معذبون، فهي جنتهم ونارهم!!

قيامة ولا بعث، ولا جنة ولا نار غير هذا، على قدر أعمالهم وذنوبهم وإنكارهم لأئمتهم ومعصيتهم لهم». [فرق الشيعة: ٥٧].

عقيدة النصيرية في القيامة:

والقيامة عند النصيرية تعني «قيامة الإمام المجتبى صاحب الزمان علي بن أبي طالب رضي الله عنه ليحكم بين أتباعه ويحق لهم السعادة وحدهم ضد خصومهم من أتباع الخليفتين الأول والثاني - يعنون أبا بكر وعمر رضي الله عنهما - ويقولون: إن ظهور علي بن أبي طالب سيكون من الشمس قابضًا على كل نفس، الأسد من تحته وذو الفقار بيديه، والملائكة من خلفه والسيد سلمان الفارسي بين يديه، والماء ينبع من قدميه، والسيد محمد - يعني الرسول صلى الله عليه وسلم- ينادي: هذا مولاكم علي بن أبي طالب فاعرفوه وسبحوه وعظموه وكبروه، هذا رازقكم وخالقكم فلا تنكروه»!!! تعالى الله عما يقول الظالمون علوًا كبيرًا.

وهذا كلام كله شرك وزندقة، وأعتقد أنه لا يختلف اثنان من المسلمين في ذلك، فالتسبيح والتعظيم لله وحده، والكون كله يسبح بحمده تعظيمًا وإجلالاً له سبحانه كما قال تعالى في كتابه: « يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ لَهُ ٱلْمُلْكُ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ » [التغابن: ١].

كما أن الخلق خلقه والكون ملكه، والجميع عباده، قال تعالى: « إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَرْدًا » [مريم: ٩٣- ٩٥]. وقال سبحانه: « قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُ قُلْ أَفَٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا قُلْ هَلْ يَسْتَوِي ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُ أَمْ جَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُوا۟ كَخَلْقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّٰرُ » [الرعد: ١٦].

ويقع التناسخ حسب معتقد النصيرية في أربع صور وذلك بحسب قرب الشخص أو بُعده عن الإيمان وطاعة الأئمة أو عصيانهم، وهي كما يلي: نسخ، مسخ، فسخ، رسخ.

أما النسخ: فهو انتقال روح الآدمي إلى جسم آدمي آخر، والمسخ: فهو انتقال روح آدمي إلى جسد حيوان، والفسخ: فهو خروج الروح من جسم آدمي إلى جسد حشرة من حشرات الأرض وهوامها، والرسخ: هو انتقال الروح من جسم آدمي إلى جسم أو حي إلى الشجر والنبات والجماد، وبعضهم يذهب إلى أن المسخ والفسخ والرسخ لا تصيب النصيري، بل هي خاصة بمن عداهم من الناس الذين يطلقون عليهم الكفرة والذين يمرون في تكرار مولدهم بألوان العقاب والجزاء في هذه الدنيا، وقد جاء في الهفت الشريف - وهو من كتبهم - نصوص كثيرة في بيان كيفيات التناسخ، وكيفيات العذاب الذي يحل بالكفار عند انتقال أرواحهم من جسم إلى جسم، ومن ذلك قولهم: «وأنه ليلقاك الرجل في بدنه وأنت تظن أنه آدمي، وإنما هو قرد أو خنزير أو كلب أو دُب».

وقال المفضل: «سألت مولانا الصادق: هل يذل الأعداء من دون الأولياء، والأولياء من دون الأعداء في اصطناع الخير والشر فيما كان من أحدهما إلى الآخر؟ فقال: أما علمت أن المؤمن يكون في الناسوتية والكافر في المسوخية وفي تراكيب شتى، حتى يصنع كل واحد منهما إلى الآخر من الخير والشر، مثلما كان يصنع إليه إن كان خيرًا فخير، وإن كان شرًا فشر».

وقال عن سبب إيذاء الكلب للإنسان: «وإن الرجل حينما يمر بالكلب لا يعرفه ولا يكون قد رآه قبل ذلك اليوم، أو ربما يكون



الرجل متزوجًا امرأة هذا الكلب، لأنه كان مركبًا في الإنسانية، وكان مجراه في بادي الأمر مجرى الإنسان، فأهلكه الله بعذاب ذبح أو قتل بما وصل إليه من شقاوته في حالة الدنيا، والرجل يكون قد تزوج امرأته وسكن داره ولبس ثيابه يعرفه الكلب في مسوخيته، فإذا نظر إليه نبح ووثب عليه أو عضه في وجهه!!

وذكر عن محمد بن سنان أنه قال: «ما من طائر يطير إلا له أم وأب وعم خال، ثم التفت أبو الحسن إلى نجار ينجر بداره، فقال: هذا النجار كان في الدور الأول ديكًا، وهو اليوم نجار». [انظر فرق معاصرة ج١/٤٢٨- ٤٣٠].

وهذه المعتقدات الباطلة تبين سخافة عقولهم وشدة ضلالهم، ولا عجب في ذلك فالقوم أتباع المجوس وعباد أوثان، وعقائدهم في جملتها تناقض دين الإسلام وتضاده وتسعى في هدمه، بل لو تأمل الباحث بشيء يسير من النظر سيجد أنهم لم يتركوا شيئًا من عقائد الإسلام إلا أتوا بما يناقضه، ولم يدعوا حكمًا من أحكام الشريعة إلا عطلوه وجاءوا بما يعارضه، وهذا يكشف عن مدى حقدهم وبغضهم للإسلام والمسلمين.

وعــن مــدى حقد النصيريين وبغضهم للإسلام والمسلمين أن عقائدهم تناقض دين الإسلام وتسعى في هدمه، فلم يتركوا حكمًا من أحكام الإسلام إلا عطلوه وجاءوا بما يعارضه، فالقوم أتباع المجوس وعُبَّاد أوثان.

وهــم يبغضون الصحابة بغضًا فوق الوصف!!

عقيدة النصيرية في الصحابة:

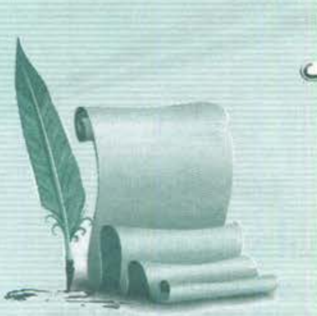
أما عن عقيدتهم في الصحابة، فيجب أن نعلم أنهم يبغضون الصحابة بغضًا شديدًا ويلعنونهم في الجملة، بل يرون أن من الصحابة من لم يكن مؤمنا على الحقيقة وأن بعضهم كان يتظاهر بالإسلام ويبطن النفاق خشية من سطوة عليّ، ومن هؤلاء أبو سفيان وابنه معاوية رضي الله عنهما، وقد خصوا الصدّيق خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم الأول والذي يليه بالبغض الشديد، فلم يجيزوا حتى مجرد التسمية بأبي بكر وعمر، بل بلغ بهم السفه والحقد عليهما أن عمدوا إلى الحيوانات البريئة وتفننوا في تعذيبها، بزعمهم أن روح أبي بكر وعمر وعائشة رضي الله عنهم جميعًا حلت فيهم عن طريق التناسخ، ومن هنا فهم يأخذون بغلاً أو حمارًا ليذيقوه سوء العذاب، لأنه تقمص روح أبي بكر وعمر، كما أنهم يأخذون غنمة ويعذبونها كذلك تنكيلاً بأم المؤمنين عائشة رضي الله عنها!!

ولهم أقوال كثيرة في ذم الصحابة وخاصة في أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه الذي أطفأ الله به نار المجوسية، وأعز الله به التوحيد والسنة، وقد ذكر صاحب كتاب «الهفت الشريف» أن عمر رضي الله عنه كان في زمن الحسين في صورة كبش عن طريق التناسخ، فدى الله به الحسين من الذبح، وذبح هو - أي عمر - الذي سماه «دلامة» أو أدلم، وهذا ضلال - نعوذ بالله منه-.

وقد يقول قائل: إن ما نذكره اليوم عن النصيرية كان أمرًا قديمًا، ولا يمكن لعاقل أن يكون على هذه المعتقدات إلى اليوم؟

فأقول لهؤلاء: إن أحد علماء الشيعة الاثنى عشرية وهو محمد رضا شمس الدين زار النصيريين في بلده عام ١٣٧٦هـ، للتعرف على أحوالهم، وقد كان موفدًا من قبل المرجع الديني في النجف «عباد الباري الشيرازي»، وقد ذكر الزائر محمد رضا أن النصيرية لا يزالون إلى اليوم يتمسكون بأفكار زعيمهم «محمد بن نصير»، وذكر أنه حينما زارهم رحبوا به أجمل ترحيب، ولكن لاحظ عدم اكتراثهم بفرائض الدين من صلاة وحج وعدم وجود مساجد في منطقتهم، كما لاحظ أن فكرة تناسخ الأرواح لا تزال منتشرة بينهم، وهم يسمونها نقص الأرواح. [انظر كتابه: العلويون في سوريا ص٥٤].

وسأبين - إن شاء الله - في المقال القادم عبادات وأعياد النصيرية المخالفة لدين الإسلام وأعمالهم المشينة اليوم ضد المسلمين. والله الموفق والمستعان.



كلمة التحرير

الأمة بين أحداث مؤسفة.. وأخطار زاحفة!!

بقلم
رئيس التحرير
جمال سعد حاتم
GSHATEM@HOTMAIL.COM
GSHATEM@YAHOO.COM

الحمد لله مُعزّ من أطاعه واتَّقاه، ومذلُّ من خالف أمره وعصاه، خلق الحياة الدنيا ليبلوا أهلها أيهم أحسن عملاً، وجعل الأيام دولاً، وعد الصادقين الصابرين بالنصر، وجعل الذلة والمهانة وسوء العاقبة لمن خالف أمره، وبعدُ:

تمر الأيام متسارعة، واليوم ليس أفضل من سابقه، ومع ذلك فقد عَلَّمَنَا شَرْعُنَا أنه عندما ينزل البلاء، وتحل الفتن، وتدلهمّ الخطوب، وتعمّ الرزايا تضطرب أفهامُ فريق من الناس، وتطيش عقولُهم، فإذا بهم يذهلون عن كثير من الحق الذي يعلمون، وينسون من الصَّواب ما لا يجهلون، وهنالك تقعُ الحيرة ويثور الشكّ وتروجُ سوق الأقاويل، وتهجرُ الحقائق والأصول، وتُتَّبعُ الظنون، وما تهوى الأنفس، ويُحكمُ على الأمور بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير.

الابتلاء سُنة ربانية عامّة لم يستثن الله منها أنبياءه ورسلهُ مع عُلوِّ مقامهم وشرف منزلتهم، وأعداء الأمة لا يتوانون لحظةً عن زرع الفتن، وإثارة الاضطرابات في مؤامرات وكيد يُدَبَّرُ بليل في الداخل والخارج، وبالأمس القريب عِشْنا مَشْهدًا مُروِّعًا يجعل القلبَ يتفطرُ ألمًا وحزنًا على ما شاهدناه على أرض مصر في ميدان العباسية ممن أرادوا أن يُسْقطوا مصر كاملة، لكي تَسْبَحَ مصر في دوامة الفوضى العارمة؛ في محاولة منهم لإسقاط وزارة الدفاع المصرية، وكأنهم يريدون إسقاط وزارة الدفاع الإسرائيلية!!

متناسين أنهم أبناءُ مصر، وقُرةُ عينها، ما فتئوا يضعون أرواحهم على أكفهم دفاعًا عن أرض الوطن، ودفاعًا عن الأمَّة في كل مكان.

وعلى أرض المحروسة نشهد مؤامرة أخرى من مؤامرات الشيعة الرافضة ممن لم تَفتر محاولاتهم في تحقيق حلمهم الزائل في عودة دولتهم الفاطمية في مصر، فقد بنوا الأزهر لنشر التشيع في مصر، فأصبح منارةً لنشر السنَّة ووأد البدعة، ويُكشفُ النقاب عن مؤامرة أمريكية عن طريق دورة تدريبية على كيفية شنِّ حرب إبادة ضد المسلمين وتدمير مكة المكرمة والمدينة المنورة، قُطعت أيديهم وأرجلهم من خلاف.

وغُصةٌ أخرى في الحلق ونحن نحيا ذكرى النكبة الفلسطينية، ويعلن مركز الإحصاء الفلسطيني عن استيلاء إسرائيل على ٨٥٪ من الأراضي الفلسطينية.

وجريمة أخرى من جرائم أعداء الإسلام تتمثل في ألعاب أطفال صينية خطيرة عبارة عن مُسدسات ورشاشات تسُبُّ أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

أحداث العباسية ومؤامرة لإسقاط الدولة!!

تلك هي الدنيا، تُضحك وتُبكي، وتجمع وتُشتِّت، شدةٌ ورخاءٌ، سراء وضراء، دار غرور لمن اغترّ بها، وهي عبرةٌ لمَنْ اعتبر، إنها دارُ صدق لمن صدقها، وميدان عمل لمن عمل فيها: ﴿لِّكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ [الحديد: ٢٣].

وإذا استحكمتْ الأزماتُ، وتتابعت الضوائق، فلا مخرج إلا بالإيمان بالله، والتوكل عليه، وحُسنُ الصبر، ذلك هو النور العاصم من التخبط، وهو الدرعُ الواقي من اليأس والقنوط.

إن من آمن بالله، وعَرف حقيقة دنياه، وطَن نفسهُ على احتمال المكاره، وواجه الأعباء مهما ثَقُلتْ، وحَسُنَ ظنه بربّه، وأمّل فيه جميل العواقب، وكريم العوائد، كل ذلك بقلب لا تشوبه ريبة، ونفس لا تزعزعها كُربة، مُستعينًا بالله تعالى موقنًا أن بوادرَ الصفو لا بدّ آتية، ﴿وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ [آل عمران: ١٨٦].

ومع اقتراب الانتخابات الرئاسية، والأمل يحدو كل مصري لعودة البلاد إلى حالة الاستقرار والتعافي، بعد أن أصبح الجسد هزيلا من كثرة ما ألمَّ به، تشهدُ الدنيا كلها حادثة حزينة يندى لها الجبين، ومشهد مأساوي يخيل إليك أن هذه ليست مصر، سلوكيات وأفكار يريد البعض من خلالها الوصول إلى الفوضى والدمار غير عابئ بما يُسفك من دماء، وما يُنتهك من حُرمات.

وما حدث في العباسية مؤامرة بكل ما تعني الكلمة، ومشهدٌ حزين يَندى له الجبين، دعوات لمحاصرة وزارة الدفاع المصرية، بل وإسقاطها، ودعوات للزحف على العباسية، كي تَسْقط المؤسسة الوحيدة الباقية، فتجد أرواحًا تُزهق، ودماء تسيل، وقذفا متبادلا بكل أنواع الأسلحة، بين طرفين وثالث خفيّ، الأول مواطنٌ مصري مسلم، يدّعي الجهاد لاقتحام وزارة الدفاع المصرية، هاتفًا: الله أكبر!! داعيًا الله أن ينصره!! والطرف الثاني جندي مصري مسلم، يدافع عن الوطن، يدافع عن عرينه وشرفه العسكري، وعن ممتلكات بلاده وترابها، ويدعو الله أن يثبتهُ ويُلهمه الصبر، وطرفٌ خفي من الداخل والخارج، خطط ونفّذ، وشارك ودبّر، وراحوا يشعلون الفتن، ويدشنوا الأسلحة والمولوتوف والحجارة، ويلهبون الهمم حتى يحدث الاشتعال وتسقط الدولة وتسيل الدماء، وينتشر الخراب!!

فحسبنا الله ونعم الوكيل، وحمى الله مصر من كيد الكائدين، وحقد الحاقدين.

ومن باب التذكرة، فإننا نقول: أليست قواتنا المسلحة هي التي انحازت إلى الشعب المصري منذ ٢٥ يناير وحتى الآن؟!

أليست القوات المسلحة، مع ما يقع منها من أخطاء، تقع من كل البشر، هي التي تحمّلت مصير البلاد، مع الظروف الحالكة التي تعيشها مصر، تحملت خلالها أقصى أنواع الإيذاء نتيجة للتلاحم في كل شئون البلاد، أعطت فترة انتقالية تقوم فيها المؤسسة العسكرية باستعادة روح الدولة، وملء الفراغ الموجود في البلاد، وقد وفَتْ بانتخاب برلمان لمصر، ومجلس للشورى في انتخابات لم تشهدها البلاد من قبل، والإعداد لدستور دائم للبلاد، يتم الانتهاء منه في الأيام القادمة - إن شاء اللهُ - بعد تسمية لجنة إعداد الدستور، مع ما وقع في تشكيلها الأول من قِبَل البرلمان من بعض الأخطاء في الاختيار، وجعلها تتوقف بقرار قضائي، وانتخابات الرئاسة على الأبواب خلال أيام، إن شاء الله تعالى، بعدها يتم تسليم السلطة، وتعود قواتنا المسلحة إلى ميادينها لتؤمِّن حدودنا المهددة بالأخطار من كل الجهات.

لقد كان الصبر وضبط النفس هو سلوك المجلس العسكري، إلا أن الإصرار على إشعال الفتن بمحاولة اقتحام وزارة دفاع مصر كان مشهدًا مُحزنًا لكل إنسان يشعر بالانتماء إلى هذا الوطن، فاتقوا الله يرحمكم الله، واصبروا وأحسنوا إن الله يحب المحسنين، ورحم الله رجلا كف يده ولسانه عن كل شر.

الحسينية الشيعية في مصر!!

استغلالا لحالة الفوضى الأمنية والسياسية، وفي الوقت الذي تعيشُ فيه مصر أجواءً من التوتر وعدم الاستقرار، وضبابية المشهد السياسي، ومآل العملية السياسية، وقرب انتخابات الرئاسة، والمؤامرات التي تُحاك ليل نهار، ممن لا يبتغون لهذا الوطن رفعة ولا استقرارًا، ولا أمنًا ولا أمانًا، وفي حدث صادم لمشاعر المسلمين أعلن عن افتتاح حُسينية شيعية في مصر السُنية بحضور رجل الدين الشيعي غير المرحب بزيارته «علي الكوراني».

وهذه الحسينية التي تم افتتاحها، ليست سوى منزل يملكه شيعي مصري، فهي ليست حسينية رسمية كما هو الحال في العراق ولبنان؛ لأن هذا ممنوع في مصر، ولكنهم قاموا بتصوير الافتتاح على هيئة مقطع فيديو، وتم نشره على شبكة الإنترنت، وتم الكشف عنه لوسائل الإعلام، مع أنه كان من الممكن أن يبقى سرًا ولا يسمعُ عنه أحد شيئًا، ولكنهم أرادوا من وراء ذلك استكشاف رد فعل الشارع المصري، والتيار الإسلامي، والمؤسسات الرسمية الدينية، فإن كان الرد قويًا توقفوا في خطواتهم الآن، أما إن كان الرد ضعيفا ضاعفوا خطواتهم لنشر الفكر الرافضي في أنحاء مصر!!

ونحن أمام محاولات متكررة لتوغل المد الشيعي في ظل ضعف المؤسسة الدينية في مصر، والمشهد الذي حدث في منتصف عام ٢٠٠٩م لم يزل راسخا في أذهان الجميع؛ حيث فوجئ أهالي الحي الحادي عشر بمدينة السادس من أكتوبر، برفع الأذان في غير وقت الصلاة، وزيادات لا يحتويها الأذان، فهرعوا إلى المسجد فوجدوا

عددًا من الطلاب العراقيين والخليجيين الذين كانوا بداخله لإقامة الصلاة على الطريقة الشيعية، فسارع الأهالي بإبلاغ الأجهزة الأمنية، التي قامت باحتجازهم بمديرية أمن المحافظة.

صوفية أبي العزايم جسر الشيعة في مصر!!

إن الناظر لتاريخ الصوفية والشيعة ليجد جليًا مدى التقارب بين الفريقين، فالقواسم المشتركة بين الشيعة والصوفية كثيرة، وكلاهما له مصلحة في القضاء على أهل السنة، ففي السابع والعشرين من يونيو ٢٠١٠م نظمتْ الطريقة العزمية احتفالاً بمولد الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه، والعجيب في هذا الاحتفال الحضور الإعلامي للقنوات الفضائية الإيرانية الشيعية، كقناتي العالم، والكوثر، وشنَّ أبو العزايم في هذا الحفل هجومًا عنيفًا على جماعة أنصار السنة المحمدية، والجمعية الشرعية، والدعوة السلفية، والإخوان المسلمين، واصفًا أفكارهم بـ «اليهودية»، وهاجم الحضورُ الأزهرَ الشريف، ومجمعَ البحوث الإسلامية لعدم مصادرتها كُتب الإمام «ابن تيمية» والسماح بتداولها؛ لأنها وراء انتشار الجماعات السلفية؛ بحسب معتقد الصوفية.

إضافة إلى تصريحات المدعو علاء أبي العزايم والتي هاجم فيها بشدة التيار السلفي، ولوّح باللجوء إلى العنف لمواجهة النفوذ المتعاظم للسلفيين، داعيًا إلى توحيد الصوفية والشيعة لمواجهة ما دعاه بالخطر الذي يتهددهما في ظل العلاقات الوثيقة بين الطرفين، وذلك في أعمال الجلسة الأولى لمؤتمر التقريب بين السُّنَّة والشيعة، المنعقد في إيران، وتأكيده على أن التيار السلفي يمثل عدوًا مشتركا للشيعة والصوفية على حد سواء، مهددًا بأنه سيواصل مقاومته لنفوذ السلفيين حتى لو وصلوا للحكم، ووعد بدعم مخططات نشر التشيُّع في مصر خلال المرحلة القادمة لمواجهة التمدد السلفي!!

وإننا ومن خلال صفحات مجلة التوحيد نتوجه ببلاغ رسمي إلى ولاة الأمور وكل القوى في مصر لوأد هذا الخطر، وتلك الفتنة العظيمة، فمصر الأزهر كانت وستظل منارة للإسلام والسُّنَّة في المنطقة كلها.

وقد أصدر ائتلاف القوى الإسلامية بمصر -المحروسة بالسُّنَّة وأهلها بإذن الله - بيانًا أعلنوا فيه عن رفضهم واستنكارهم لما تناقلته وسائل الإعلام عن خبر افتتاح حسينية للشيعة الرافضة في مصر، مطالبين المجلس العسكري باتخاذ الإجراءات الحاسمة لمنع وجود هذه الحوزة الرافضية، قائلين في بيانهم: وليحذر المجلس أن يكتب التاريخ أن وجود هذه الحسينية كان في الفترة الانتقالية لحكمهم البلاد، وعلى الجهات الرسمية المسئولة اتخاذ كل الإجراءات للحيلولة دون اختراق مصر شيعيًا ونشر مذهب الرافضة في البلاد!!

كما يتعين على الجهات والمؤسسات الدينية الرسمية كالأزهر الشريف ووزارة الأوقاف وغيرها التصدي علميًا وعمليًا لمحاولات نشر التشيع في مصر الأزهر، وإزالة هذا المنكر!!

وليعلم الشيعة الرافضة في كل مكان أن مصر كانت وستبقى بإذن الله الثقل السني الأكبر في المنطقة العربية والإسلامية، وأن انشغال المصريين اليوم بالشأن السياسي الداخلي لا يمكن بحال أن يشغلهم عن حراسة السُّنَّة عقيدةً ومذهبًا، والقيام بواجب المرابطة على ثغور مدافعة كافة البدع.

دورة عسكرية أمريكية للتدريب على تدمير مكة والمدينة!!

وما تزال الفتن والمؤامرات تُحاك ضد الأمة الإسلامية، وها هي أمريكا وفيما يُعد فضيحة سياسية وأخلاقية بكل المقاييس، وبعد أن تسربت في الأيام الماضية أنباء عن دورة عسكرية يُجرى تنظيمها في الولايات المتحدة الأمريكية، حول كيفية الإبادة الجماعية للمسلمين، تتضمن هجومًا نوويًا على دول إسلامية، أو شنّ حرب تجويع وتدمير ضد مكة المكرمة، والمدينة النبوية.

وكانت وزارة الدفاع الأمريكية قد سارعت بالنأي بنفسها عن ذلك بعد تسريب التقارير التي قالت: إن الجيش الأمريكي يدرب ضباطًا على حرب شاملة ضد مليار ونصف المليار مسلِم، والتدريب على تلك الأساليب المشابهة لتلك التي نُفذت خلال الهجوم على هيروشيما في حال حدوث مواجهة مع الإسلام، فيما يعتبر تدريبًا على حرب إبادة جماعية ضد المسلمين.

وقد كشفت مدونة وايرد. دوت كوم الأمريكية النقاب عن عرض لكلية القيادة والأركان المشتركة في تورفولك بولاية فرجينيا، تم فيها تدريس خطة للحرب الشاملة على المسلمين، قدمها ضابط كبير برتبة كولونيل يُدعى «ماثيودوولي».. فيما أبدت القيادة العسكرية الأمريكية دهشتها من هذا التصرف.

وقد أقر الكولونيل الأمريكي أثناء العرض الذي تم في الصيف الماضي - حسب المدونة - بأن مثل هذه الأفكار تبدو في أعين الكثيرين داخل وخارج الولايات المتحدة غير صحيحة من الناحية السياسية، وقد ذكر أنه يمكن تهديد المملكة العربية السعودية بمجاعة، أو تعريض المدينتين المقدستين مكة والمدينة للتدمير.

وأشار القائد الأمريكي تحديدًا إلى ضرب مدينة درسون الألمانية أثناء الحرب العالمية بالقنابل، بل وإسقاط القنابل الذرية على هيروشيما وناجازاكي كنموذج لما يمكن القيام به ضد المسلمين، وقال: إن اتفاقية جنيف لن تكون سارية في هذه الحالة بسبب ما سماها «السلوكيات التي يقوم بها الإرهابيون الإسلاميون»؛ على حد تعبيره.

وإن نشر مثل هذا الخبر لهو دلالة قطعية على أن

أعداء الأمة لا يألون جهدًا في الكيد وإعداد المؤامرات، ونشر الفتن لهدم أمة الإسلام، وصدق الله «وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ» [البقرة: ١٢٠]، ومع ذلك فإن الله سبحانه يحفظ دينه من كيد الكائدين، ومكر الماكرين، «وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ» [الأنفال: ٣٠].

وإن مما يكشف النقاب عنه من أحداث يبين الطبيعة البهيمية للأمريكان، فقد سبق للجنود الأمريكان ارتكاب جرائم سافرة في حق الإسلام والمسلمين في أفغانستان خلال الأشهر الماضية؛ حيث قاموا بالكثير من الأعمال المشينة؛ منها الإساءة إلى جثث المقاتلين الأفغان، والتبول على جثث قتلى طالبان، وحرق نسخ من المصحف الشريف، إضافة إلى قيام أحد الجنود بقتل ١٧ مدنيًا أفغانيًا في مارس الماضي، وهذا يعتبر استمرارًا لما حدث في العراق بالأمس القريب وسجن أبو غريب، وما تم فيه من انتهاكات في حق المسلمين السُّنَّة يندى لها الجبين، ولا تصدر هذه الأفعال إلا عن أناس فقدوا آدميتهم، وحسبنا الله ونعم الوكيل!!

جريمة الألعاب الصينية المسيئة للسيدة عائشة رضي الله عنها!

الجريمة منظمة، والفتنة قائمة، وتتنوع الأساليب في الفتن، وهذه المرة كانت عبارة عن صفقات أسلحة من لعب الأطفال من مسدسات ورشاشات صينية تسبّ أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، وتُصدرُ أصواتًا قتالية يعقبها صياح شخص يقول: «اقتُل السيدة عائشة». وقد انتشرت تلك الألعاب في مصر ودول الخليج، ودول إسلامية أخرى في نفس التوقيت، وثار الحديث عن تلك الألعاب، ومع ذلك لم تتحرك جهة مسئولة لبحث هذا الموضوع وفضحه وكشف الجهات التي تقف خلفه.

ونفاجأ بعد فترة بظهور لعبة أخرى تُصدر نفس الأصوات، وكانت عبارة عن دبابة صينية، وكأن شيئًا لم يكن، وهو ما يعني أن هذا الأمر مدبر ومخطط له بصورة تنظيمية بالغة الدقة، لغزو الأسواق المصرية، وأسواق الدول الإسلامية لتخريب عقيدة أبنائنا!!

وإن المرء ليعجب لمثل هذه الأحوال؛ ألا تتحرك الضمائر وتغار على دينها وعلى رسولها، وزوجاته أمهات المؤمنين؟! وتصدر الأوامر بفتح تحقيقات واسعة لتضع يدها على من يقف خلف تلك الأعمال القذرة!!

ألا تستحق هذه الحماقات انتفاض الأمة للذود عن أمهات المؤمنين وزوجات النبي الأمين صلى الله عليه وسلم؟! بل وإصدار تشريعات فورية لمحاكمة ومقاضاة مستوردي تلك الألعاب الصينية؟! ألم تشاهدوا الألعاب الموجودة على شبكة المعلومات الدولية «الإنترنت»، والتي تقوم فكرتها على توجيه الرصاص لقصف المصحف الشريف والأماكن المقدسة!!

استيلاء إسرائيل على ٨٥ في المائة من الأراضي الفلسطينية!!

وفي ذكرى مؤلمة، ذكرى نكبة فلسطين، والتي ضاعت معها فلسطين، وزُرع على أرضها الكيان الصهيوني البغيض يعلن مركز الإحصاء الفلسطيني أن نحو ١١,٧ مليون نسمة يعيشون في فلسطين التاريخية، في نهاية العام الماضي، والتي تبلغ مساحتها نحو ٢٧٠ ألف كيلو متر، وأن اليهود يشكلون نسبة ٥٢٪ من مجموع السكان، ويشغلون أكثر من ٨٥٪ من المساحة الكلية للأراضي الفلسطينية، وأوضح المركز في تقرير له بمناسبة ذكرى النكبة، أن نسبة الفلسطينيين تبلغ ٨٤٪ من مجموع السكان، ويشغلون أقل من ١٥٪ من مساحة الأرض، ووفق إحصاء المركز فإن عدد الفلسطينيين عام ١٩٤٨م كان نحو ١,٣٧ مليون نسمة، في حين قدر عدد الفلسطينيين في العالم نهاية عام ٢٠١١م بنحو ١١,٢ مليون نسمة.

وهذا يعني أن عدد الفلسطينيين في العالم قد تضاعف أكثر من ٨ مرات منذ أحداث نكبة ١٩٤٨م، وأشار المركز إلى أن البيانات المرفقة تدلل على أن الإسرائيليين قد سيطروا خلال مرحلة النكبة على ٧٧٤ قرية ومدينة، وقاموا بتدمير ٥٣١ قرية ومدينة فلسطينية، كما ارتكبت القوات الإسرائيلية أكثر من ٧٠ مذبحة ومجزرة بحق الفلسطينيين، أدت إلى استشهاد أكثر من ١٥ ألف فلسطيني خلال فترة النكبة.

وفيما يتعلق بتعداد الفلسطينيين المقيمين حاليًا في فلسطين التاريخية أشار المركز إلى أن البيانات تؤكد أن عددهم بلغ في نهاية عام ٢٠١١م نحو ٥,٦ مليون نسمة، ومن المتوقع أن يبلغ عددهم ٧,٢ مليون نسمة بحول عام ٢٠٢٠م فيما لو بقيت معدلات النمو السائدة حاليًا.

ندعو الله العلي القدير أن يعيد الأقصى وفلسطين إلى الأمة الإسلامية، وأن تعود القدس عاصمة لدولة فلسطين، وما ذلك على الله بعزيز.

وفي الختام.. ومع توالي هذه الأحداث المؤلمة لقلب كل مسلم، ينبغي لنا أن نعتز بإيماننا ونتمسك بإسلامنا ولا نشعر بالعجز ولا الضعف فإننا إن شاء الله منصورون، وإن المؤمن راسخ الإيمان، يُوقن أن الشدائد لا محالة ستنقشع وستنقضي، متى توجه العبد واعتصم بمَن بيده ملكوت كل شيء، زالت المحن دون عناء وأنين.

فاللهم إنا نعوذ بك من جهد البلاد، ودرك الشقاء، وسوء القضاء، وشماتة الأعداء، ونسألك خشيتك في الغيب والشهادة، وكلمة الحق في الغضب والرضا، والقصد في الفقر والغنى، وأحسن اللهم عاقبتنا في الأمور كلها، وأجرنا من خزي الدنيا وعذاب الآخرة.

واللهم انصر الإسلام وأعز المسلمين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.



من تختار للرئاسة؟

إعداد/ د. عبد العظيم بدوي



إن مصالح الناس لا تتم إلا باجتماعهم؛ لحاجة بعضهم إلى بعض، ولا بُدّ لهم إذا اجتمعوا من نظام يسيرون عليه، فإن النظام من ضروريات المجتمع التي لا يستقر إلا بها، ووجود رئيس للمجتمع ضروري لبقائه ونظامه؛ لأنه يستطيع أن يحمل الناس على الحق وعدم الحياد عنه، فيجنّبهم حياة الفوضى والاضطراب والهرج والمرج، ولهذا لم يوجد مجتمع إلا وُجد فيه رئيس-على أيّ نحو كان- يطيعه الناس عن طواعية واختيار، أو قهر واضطرار «لما في طباع العقلاء من التسليم لزعيم يمنعهم من المظالم، ويفصل بينهم في التنازع والتخاصم، ولولا الولاة لكانوا فوضى مهملين وهمجًا مضاعين» [أصول الدعوة(٢٠٣)].

لذلك أوجب الإسلام على المسلمين اتخاذ رئيس يحقق أمن البلاد ومصالح العباد، ويكف أيدي المعتدين، ويُنصف المظلومين من الظالمين، ويأخذ الحقوق من مواقعها، ويضعها في مواضعها، وقد دل على وجوب اتخاذ رئيس الكتاب والسنة، وإجماع الأمة، والقواعد الشرعية.

فمن القرآن الكريم قول الله تعالى: «يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ » [النساء: ٥٩]، فالأمر بطاعة أولي الأمر دليل على وجوب اتخاذهم حتى يُطاعوا.

وقوله تعالى: « وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَة إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً » [البقرة:]:

قال القرطبي -رَحِمَهُ اللهُ-: هَذِه الآيَةُ أَصْلٌ فِي نَصْبِ إِمَامٍ وَخَلِيفَةٍ يُسْمَعُ لَهُ وَيُطَاعُ، لِتَجْتَمِعَ بِه الْكَلِمَةُ، وَتَنْفُذ بِه أَحْكَامُ الخلافة. وَلَا خِلَافَ فِي وُجُوبِ ذَلك بَيْنَ الْأُمَة وَلَا بَيْنَ الأَئمَة إِلَّا مَا رُوِيَ عَنِ الْأَصَمِّ؛ حَيْثُ كَانَ عَن الشَرِيعَةِ أَصَمَّ، وَكَذَلك كُلُّ مَنْ قَالَ بِقَوْله وَاتَّبَعَهُ عَلَى رَأْيِه وَمَذْهَبِه.

وقوله تَعالَى: « وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ لَّفَسَدَتِ ٱلۡأَرۡضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ » [البقرة:٢٥١].

قال الطرطوشي-رَحِمَهُ اللهُ-: قيل معناه: لولا أن الله تعالى أقام السلطان في الأرض يدفع القوي عن الضعيف، وينصف المظلوم من ظالمه، لتواثب الناس بعضهم على بعض، ثم امتن الله تعالى على عباده بإقامة السلطان لهم بقوله تعالى: « وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ » [البقرة:٢٥١] [تحرير الأحكام في

تدبير أهل الإسلام(٤٩)].

ومن السنة: ما رواه مسلم عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: «مَنْ خَلَعَ يَدًا مِنْ طَاعَةٍ لَقِيَ اللهَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لاَ حُجَّةَ لَهُ، وَمَنْ مَاتَ وَلَيْسَ فِي عُنُقِهِ بَيْعَةٌ مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً» [مسلم ١٨٥١]، وهذا واضح الدلالة على وجوب نصب الإمام؛ لأنه إذا كانت البيعة واجبة في عنق المسلم، والبيعة لا تكون إلا لإمام، كان نصب الإمام واجبًا. وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «إِذَا خَرَجَ ثَلاَثَةٌ فِي سَفَرٍ فَلْيُؤَمِّرُوا أَحَدَهُمْ» [أبو داود (٢٥٩١) وصححه الألباني].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -: فإذا كان قد أوجب في أقل الجماعات وأقصر الاجتماعات، أن يولى أحدهم، كان هذا تنبيهًا على وجوب ذلك فيما هو أكثر من ذلك. [الحسبة (١١)].

وقد أجمعت الأمة على ما دل عليه الكتاب والسنة، ونقل الإجماعَ غيرُ واحد.

قال ابن خلدون: نَصْبُ الإمام واجب، وقد عُرف وجوبه في الشرع بإجماع الصحابة والتابعين؛ لأن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عند وفاته بادروا إلى بيعة أبي بكر رضي الله عنه، وتسليم النظر إليه في أمورهم، وكذا في كل عصر من الأعصار، واستقر ذلك إجماعًا دالاً على وجوب نصب الإمام. [مقدمة ابن خلدون(١٩١)].

ومن الأدلة الدالة على وجوب الإمامة: القاعدة الشرعية القائلة بأن ما لم يتم الواجب إلا به فهو واجب. وقد عُلِمَ أن الله سبحانه وتعالى أمر بأمور ليس في مقدور آحاد الناس القيام بها، ومن هذه الأمور: إقامة الحدود، وتجهيز الجيوش، وجباية الزكاة، وصرفها في مصارفها، وسد الثغور، وحفظ حوزة المسلمين، ونشر العدل، ودفع الظلم، وقطع المنازعات الواقعة بين العباد. إلى غير ذلك من الواجبات التي لا يستطيع أفراد الناس القيام بها، وإنما لا بد من إيجاد سلطة وقوة لها حق الطاعة على الأفراد، تقوم بتنفيذ هذه الواجبات، وهذه السلطة هي الإمامة.

فبناء على ذلك يجب تعيين إمام يُخضع له ويُطاع، ويكون له حق التصرف في تدبير الأمور حتى يتأتى له القيام بهذه الواجبات، وفي هذا يقول أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه: لا بد للناس من إمارة؛ بَرَّة كانت أو فاجرة. قالوا: يا أمير المؤمنين هذه البرة قد عرفناها، فما بال الفاجرة؟ قال: تُقام بها الحدود، وتأمن بها السبل، ويُجاهَد بها العدو، ويُقسَم بها الفيء. [السياسية الشرعية(٦٣)].

ومما سبق يُعلم أن وظيفة الرئيس هي أخطر الوظائف وأهمها على الإطلاق، فلا يصلح لها أي إنسان، ولذلك اشترط الفقهاء لمن يُوَلَّى رئاسة البلاد شروطًا، يجب أن تتوفر فيه حتى يكون أهلاً للرئاسة، وقادرًا على حمل الأمانة، والقيام بالمسئولية.

الشروط المطلوبة في الرئيس

والذي يهمنا من هذه الشروط شرطان، هما: الإسلام، والعدالة.

أولاً: الإسلام

فيجب أن يكون رئيس الدولة مسلمًا؛ لقوله تعالى: « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ » [النساء: ٥٩]، أي منكم أيها المسلمون. وقال تعالى: « وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلاً » [النساء: ١٤١]، والرئاسة هي أعظم سبل تَسلط الحاكم على المحكوم.

وقد أجمع المسلمون على عدم جواز تولية الكفار تدبير أمور المسلمين.

والإسلام ليس كلمة تُقال باللسان، ولكن الإسلام استسلام وامتثال، وخضوع وانقياد، وطاعة واتباع، الإسلام عقيدةٌ وعبادةٌ ومعاملة، عقيدةٌ تَصل الإنسانَ بالله عز وجل « فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١١﴾ لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ» [الشورى: ١١، ١٢].

وعبادةٌ يؤدِّيها الإنسانُ وفاءً بحقِّ الله الذي خلقَه وصوَّره وشقَّ سمعه وبصرَه، يرجُو بها رضوانَ الله والجنة، ويخاف إنْ تركَها عقابَ الله والنار، فهو دائماً كما وصفَ اللهُ أولياءه «سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ» [الزمر:

٩]. وهو مع ذلك مُحْسنٌ في مُعاملة النّاس كما أمره اللهُ عزّ وجلّ، شعارُه دائماً «تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ» [البقرة: ٢٧٩].

فالعَدْلُ عِنْدَه أساسُ المُعاملة، وهو مع ذلك قد يَعْفُو عمن ظلَمه، ويصلُ من قطعه، ويحلُم على من يجهل عليه؛ لأنّ الإسلامَ أمرَه بالإحسان فيما بيْنه وبيْن الله وفيما بيْنه وبيْن الناس، وأخبرَه أنّ الله يُحبُ المحْسنين، وأنّ الله يَجْزي المحسنين بالإحسان إحساناً كما قال سبحانه: «لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ۖ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ» [يونس: ٢٦].

فهذه هي حقيقة الإسلام التي نريدها ممن يتولى رئاسة البلاد، حتى يدعو إليها، ويعين عليها، ويعتز بإسلامه ويظهره في سفره وحضره، واختلاطه وعزلته، ويردد دائمًا: إنني من المسلمين، كما أمر رب العالمين، حيث قال: « وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ » [فصلت: ٣٣]، فإذا اعتز الرئيس بإسلامه فلن يترك الصلاة في سفره كما لا يتركها في حضره، ولن يترك شيئًا من الواجبات، ولن يفعل شيئًا من المحرمات اتقاء الغير أو مجاملة له، وحينئذ يكبر في نفوس غير المسلمين فضلاً عن المسلمين.

ثانيا: العدالة

أما العدالة فهي صفة كامنة في النفس توجب على الإنسان اجتناب الكبائر والصغائر، والتعفف عن بعض المباحات الخارمة للمروءة، وهي مجموعة صفات أخلاقية من التقوى، والورع، والصدق، والأمانة، والعدل، ورعاية الآداب الاجتماعية، ومراعاة كل ما أوجبت الشريعة الالتزام به.

ومن الأدلة على اشتراط العدالة في الرئيس: قول الله تعالى: « وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَـٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّـٰلِمِينَ » [البقرة: ١٢٤]، قال الرازي: احتج الجمهور على أن الفاسق لا يصلح أن تعقد له الإمامة بهذه الآية: « لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّـٰلِمِينَ ».

وقد أمر الله تعالى بطاعة أولي الأمر، ونهى عن قبول خبر الفاسق، فقال: « يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓا۟ أَن تُصِيبُوا۟ قَوْمًۢا بِجَهَـٰلَةٍ فَتُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَـٰدِمِينَ » [الحجرات: ٦]، فكيف يتم العمل بالأمر والنهي إذا كان الرئيس فاسقًا؟!

فيجب أن يكون الرئيس عدلاً، يتقي الله ربه، ويتخلق بالأخلاق الحميدة المرضية، ويتخلى عن الأخلاق الرذيلة، ويحافظ على كل ما يحفظ له وقاره واحترامه وهيبته.

ومن أهم الأخلاق: الصدق، فلا يصلح من عُرف بالكذب لرئاسة الناس، فإن الكذب ريبة، وهو مذموم من عامة الناس، ومن رئيسهم أشد ذمًا، ولذلك قال صلى الله عليه وسلم: «ثَلاثَةٌ لاَ يُكَلِّمُهُمُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلاَ يُزَكِّيهِمْ وَلاَ يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ: شَيْخٌ زَانٍ، وَمَلِكٌ كَذَّابٌ، وَعَائِلٌ مُسْتَكْبِرٌ» [مسلم ١٠٧].

ومنها العدل: فلا يجوز أن يولى الظالم؛ لأن مقصود الرئاسة إحقاق الحق، وإبطال الباطل، وإنصاف الظالم من المظلوم، فكيف إذا كان الرئيس نفسه هو الظالم؟!

ومنها الورع الذي يحمله على اجتناب ما يخاف عاقبته من الحرام وما يشك في حرمته، فإنه سيتولى كل شيء، ويتصرف في كل شيء، فإن لم يكن ورعًا أضاع كل شيء، ونهب كل شيء، ولم يتحرج من فعل شيء.

ومنها الحلم الذي يجعله يملك نفسه عند الغضب، فلا يجهل على من يجهل عليه، ولا يسيء إلى من أساء إليه، ولا يؤذي من آذاه، ومثله الأعلى في ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم، والدافع له إلى هذا الخُلق عظيم الأجر والثواب الذي وعد به الله، فقد قال تعالى: « خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَـٰهِلِينَ » [الأعراف: ١٩٩]، وقال تعالى: « وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ » [فصلت: ٣٤]، وقال تعالى: «وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَـٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَـٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ » [آل عمران: ١٣٣ - ١٣٤].

وخلاصة القول في الشروط التي يجب توفرها في رئيس البلاد أن يرضى الناسُ دينَه وخُلُقَه، فإذا ظفرتم بمن ترضون دينه وخُلقه فاختاروه، إيمانًا واحتسابًا، لا مجاملة ولا محاباة.

نسأل الله تعالى أن يولي علينا أبرنا وأتقانا، وأحبنا إليه، وأرحمنا بنا. إنه وليُّ ذلك والقادر عليه.

دعوة للمشاركة في مؤتمر علمي عن أحد أعلام جماعة أنصار السنة

تقرر عقد مؤتمر علمي - إن شاء الله تعالى - تحت عنوان العلامة عبد الرزاق عفيفي - رحمه الله - وجهوده في نشر المنهج السلفي، وذلك بمقر المركز العام يوم ٢٢ شوال سنة ١٤٢٣هـ الموافق ٢٠١٢/٩/٩م، وذلك في تمام الساعة الواحدة ظهرًا.

ونهيب بالإخوة الباحثين بالفروع أن يشاركوا في المؤتمر من خلال إعداد بحوث علمية تتعلق بالشيخ وجهوده من حيث:

١- العلامة عبد الرزاق عفيفي فقيهًا.

٢- العلامة عبد الرزاق عفيفي محدثًا.

٣- العلامة عبد الرزاق عفيفي وجهوده الدعوية.

٤- العلامة عبد الرزاق عفيفي وجهوده في نشر عقيدة السلف.

وآخر موعد لتسليم البحوث يوم ٢٠١٢/٩/١م، وذلك بمقر إدارة المشروعات بالمركز العام لجماعة أنصار السنة المحمدية.

والله من وراء القصد.

مقرر المؤتمر

الشيخ / أسامة سليمان

مدير إدارة المشروعات

إشهارات

تم بحمد الله إشهار الفروع التالية:

١- فرع أنصار السنة المحمدية بقرية برهام، مركز بلقاس، محافظة الدقهلية تحت رقم (٢٠٨٧) بتاريخ ٢٠١١/٩/١٨م.

٢- فرع أنصار السنة المحمدية بالبياضية، جزيرة البياضية، منشأة أبو عامر، الحسينية، محافظة الشرقية تحت رقم (٢٦٢١) بتاريخ ٢٠١٢/٣/٢٩م.

وذلك طبقًا لأحكام القانون ٨٤ لسنة ٢٠٠٢م ولائحته التنفيذية.

والله ولي التوفيق.

باب الاقتصاد الإسلامي

أثر تغيير قيمة النـ

إعداد / د. علي السالوس

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد: في هذا العدد نتناول قضية جديدة من قضايا الاقتصاد الإسلامي تشتد الحاجة إليها، ألا وهي أثر تغيير قيمة النقود في الحقوق والالتزامات، فنقول وبالله تعالى التوفيق:

النقود والصرف:

كانت البشرية في مهدها تسير على نظام المقايضة في التعامل، فعانت الكثير؛ لما لهذا النظام من عيوب، ثم اهتدى الإنسان - بفضل الله تعالى - إلى استخدام النقود، والنقود تُعرف تعريفًا وظيفيًا لا وصفيًا، فهي أي شيء يكون مقياسًا للقيمة، ووسيلة للتبادل، ويحظى بالقبول العام.

وتعددت الأشياء التي استخدمها الإنسان في النقود إلى أن اهتدى إلى استخدام الذهب والفضة، فلم ينافسهما أي شيء آخر؛ لما لكل منهما من خصائص مميزة، من حيث البقاء دون تلف، والتجزئة إلى قطع، وعدم التغير بالاستعمال، أو التخزين... إلخ.

وعندما بُعث الرسول صلى الله عليه وسلم كانت النقود التي يتعامل بها الناس هي الدنانير الذهبية، والدراهم الفضية، فشرع الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم من الأحكام ما ينظم تعامل المسلمين بهذين المعدنين: الذهب والفضة، وهذه الأحكام التي تُعرف في الفقه الإسلامي بأحكام الصرف، والأحاديث الشريفة التي تبينها كثيرة مشهورة.

ومنها ما رواه عبادة بن الصامت رضي الله عنه عن الرسول صلى الله عليه وسلم أنه قال: «الذهب بالذهب، والفضة بالفضة، والبر بالبر، والشعير بالشعير، والتمر بالتمر، والملح بالملح، مثلاً بمثل، سواء بسواء، يدا بيد، فإذا اختلفت هذه الأصناف، فبيعوا كيف شئتم، إذا كان يدًا بيد ». [أخرجه مسلم].

وما رواه أبو سعيد الخدري رضي الله عنه عن الرسول صلى الله عليه وسلم أنه قال: «لا تبيعوا الذهب بالذهب، إلا مثلاً بمثل، ولا تشفوا بعضها على بعض، ولا تبيعوا الورق بالورق، إلا مثلا بمثل، ولا تشفوا بعضها على بعض، ولا تبيعوا منها غائبًا بناجز». [متفق عليه].

وما رواه أبو بكرة رضي الله عنه قال: «نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الفضة بالفضة، والذهب بالذهب إلا سواء بسواء، وأمرنا أن نشتري الفضة بالذهب كيف شئنا، ونشتري الذهب بالفضة كيف شئنا». [أخرجه الشيخان].

وما روى عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الذهب بالورق ربًا إلا هاء وهاء». [متفق عليه]. ومعنى: «هاء وهاء»: أي: خذ وهات.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «الدينار بالدينار لا فضل بينهما، والدرهم بالدرهم لا فضل بينهما». [أخرجه مسلم].

هذه بعض الأحاديث الشريفة التي تبين أحكام الصرف، ويؤخذ منها أن الصرف كي يتم صحيحًا بغير ربًا يُشترط ما يأتي:

أولاً: التماثل بغير زيادة ولا نقصان عند تبادل ذهب بذهب، ومثله دينار بدينار، أو تبادل فضة بفضة، ومثلها درهم بدرهم.

ويسقط هذا الشرط إذا كان بيع الذهب أو الدينار، بالفضة أو الدرهم، ولا يتأخر بيع الفضة أو الدرهم، بالذهب أو الدينار.

ثانيًا: القبض في المجلس قبل الافتراق، فلا يباع غائب بحاضر، ولا يتأخر القبض، وإنما هاء وهاء، يدًا بيد.

فإذا افترق المتصارفان قبل أن يتقابضا فالصرف فاسد بغير خلاف، وأحكام الصرف واضحة كل الوضوح، وتطبيقها في عصر التشريع كان سهلاً ميسرًا، وظل الأمر كذلك ما دامت نقود عصر التشريع قائمة، ثم تطورت النقود على مر العصور حتى وصلت إلى ما نراه في عصرنا، فبرزت مشكلات في التطبيق، بعضها أمكن حله بسهولة، مثل تعدد الأجناس، فاعتبر تعدد الأجناس بتعدد جهات الإصدار، بمعنى أن الوَرَق النقدي المصري جنس والسعودي جنس، والقطري جنس، وهكذا.

ولعل أبرز المشكلات ما يتصل بالقبض في المجلس، حيث يتعذر التقابض في كثير من الحالات، وهنا يمكن أن يقوم مقام القبض الفعلي للنقد الوسائل العصرية المختلفة: كالحوالة والشيك

ـقود في الحقوق والالتزامات

والتلكس، وكل ما يعد - عرفًا - قبضًا، كما قامت السفتجة قديمًا مقام القبض، ولكن لا يجوز تأخير القبض أو ما يقوم مقامه.

ولذلك نجد أسواق النقد العالمية تعلن عن سعر الصرف الحال، وسعر الصرف المؤجل، وتجعل المؤجل بزيادة ترتبط بسعر الفائدة، أي الربا.

الاستقرار النسبي للنقود السلعية:

في عصر التشريع كان الغالب في سعر الصرف الدينار بعشرة دراهم، ولذا كان نصاب الزكاة عشرين دينارًا أو مائتي درهم، وبالبحث في النصاب ووزن كل من الدينار والدرهم، نجد أن قيمة الذهب كانت سبعة أضعاف قيمة الفضة، ومع أن الذهب والفضة يتميزان بالاستقرار النسبي، فإن العلاقة بينهما لم تظل ثابتة، فتغير سعر الصرف من وقت لآخر، بل وجدنا - في عصرنا - الفضة تهبط إلى ما يقرب من واحد في المائة من قيمة الذهب، كما أن العلاقة بينهما وبين باقي الأشياء لم تظل ثابتة، ويبين هذا أنه عندما غلت الإبل في عهد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه، زاد مقدار الدية من النقدين.

إن هذه الزيادة تعني أن النقود انخفضت قيمتها بالنسبة للإبل، ولكن الأمر لم يكن قاصرًا على الإبل، فغيرها قد يرتفع ثمنه وقد ينخفض، وارتفاع الثمن يعني انخفاض قيمة النقود، وانخفاض ثمن السلع يعني ارتفاع النقود.

غير أن الزيادة أو النقصان لم تكن بالصورة التي شهدها عصرنا، عصر النقود الورقية، وعلى الأخص بعد التخلي عن الغطاء الذهبي، ولجوء بعض الدول أو اضطرارها إلى خفض قيمة ورقها النقدي.

والغلاء الفاحش الذي ساد عصرنا لم يكن سائدًا في الدول الإسلامية من قبل؛ لالتزامها بمنهج الإسلام أو قربها منه، فالاقتصاد الإسلامي يعني زيادة الإنتاج، وعدالة التوزيع، وترشيد الاستهلاك، والإسلام يمنع الوسائل التي تؤدي إلى غلاء الأسعار كما هو معلوم لمن يدرس البيوع المنهي عنها، وينهى عن ظلم المسلمين بكسر سكتهم وإفساد أموالهم.

جاء في البيان والتحصيل (٤٧٤/٦) ما يأتي:

قال محمد بن رشد: «الدنانير التي قطعها من الفساد في الأرض هي الدنانير القائمة التي تجوز عددًا بغير وزن، فإذا قطعت فرُدَّت ناقصة غش بها الناس، فكان ذلك من الفساد في الأرض، وقد جاء في تفسير قوله عز وجل: ﴿قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ﴾ [هود:٨٧]، أنهم أرادوا بذلك قطع الدنانير والدراهم؛ لأنه كان نهاهم عن ذلك، وقيل: إنهم أرادوا بذلك تراضيهم فيما بينهم بالربا الذي كان نهاهم عنه، وقيل: إنهم أرادوا بذلك منعهم للزكاة، وأولى ما قيل في ذلك أنهم أرادوا جميع ذلك، وأما قطع الدنانير المقطوعة فليس قطعها من الفساد في الأرض، وإنما هو مكروه».

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «ينبغي للسلطان أن يضرب لهم فلوسًا تكون بقيمة العدل من معاملاتهم، من غير ظلم لهم، ولا يتَّجر ذو السلطان في الفلوس أصلًا، بأن يشتري نحاسًا فيضربه فيتجر فيه، ولا بأن يحرِّم عليهم الفلوس التي بأيديهم، ويضرب لهم غيرها، بل يضرب ما يضرب بقيمته من غير ربح، وهذا باب عظيم من أبواب ظلم الناس، وأكل أموالهم بالباطل، فإنه إذا حرَّم المعاملة بها حتى صارت عرضًا، وضرب لهم فلوسًا أخرى، أفسد ما عندهم من الأموال بنقص أسعارها، فيظلمهم فيها، وظلمهم فيها بصرفها بأغلى من سعرها.

وأيضًا: إذا اختلفت مقادير الفلوس صارت ذريعة إلى أن الظلمة يأخذونها صغارًا فيصرفونها، وينقلونها إلى بلد آخر، ويخرجون صغارها، فتفسد أموال الناس، وفي السنن عن النبي صلى الله عليه وسلم: «أنه نهى عن كسر سكة المسلمين الجائزة بينهم، إلا من بأس» [رواه الحاكم وصححه ووافقه الذهبي]، فإذا كانت مستوية المقدار بسعر النحاس، ولم يشتر ولي الأمر النحاس، والفلوس الكاسدة ليضربها فلوسًا، ويتجر بذلك: حصل به المقصود من الثمنية». [الفتاوى: ٤٦٩/٢٩].

وقال ابن القيم: «فإن الدراهم والدنانير أثمان المبيعات، والثمن هو المعيار الذي به يعرف تقويم الأموال، فيجب أن يكون محدودًا مضبوطًا لا يرتفع، ولا ينخفض ؛ إذ لو كان الثمن

يرتفع وينخفض كالسلع لم يكن لنا ثمن نعتبر به المبيعات، بل الجميع سلع، وحاجة الناس إلى ثمن يعتبرون به المبيعات حاجة ضرورية عامة، وذلك لا يمكن إلا بسعر تُعرف به القيمة، وذلك لا يكون إلا بثمن تقوّم به الأشياء، ويستمر على حالة واحدة، ولا يقوّم هو بغيره ؛ إذ يصير سلعة يرتفع وينخفض، فتفسد معاملات الناس ويقع الخلف، ويشتد الضرر كما رأيت من فساد معاملاتهم، والضرر اللاحق بهم حين اتُّخذت الفلوس سلعة تعد للربح فعم الضرر وحصل الظلم، ولو جُعلت ثمنًا واحدًا لا يزداد ولا ينقص بل تقوم به الأشياء، ولا تقوم هي بغيرها لصلح أمر الناس، فلو أبيح ربا الفضل في الدراهم والدنانير مثل أن يعطي صحاحًا ويأخذ مكسرة، أو خفافًا ويأخذ ثقالاً أكثر منها، لصارت متجرًا، وجرَّ ذلك إلى ربا النسيئة فيها ولا بد ؛ فالأثمان لا تُقصد لأعيانها، بل يُقصد التوصل بها إلى السلع، فإذا صارت في أنفسها سلعة تُقصد لأعيانها فسد أمر الناس، وهذا معنى معقول يختص بالنقود لا يتعدى إلى سائر الموزونات». [إعلام الموقعين ٢/ ١٣٢].

بيان السنة المطهرة:

ما يعد أصلاً في موضوعنا هو ما رواه الإمام أحمد وأصحاب السنن الأربعة والحاكم عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه قال: «إني أبيع الإبل بالبقيع، فأبيع بالدنانير، وآخذ الدراهم، وأبيع بالدراهم وآخذ الدنانير، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: « لا بأس إذا أخذتهما بسعر يومهما فافترقتما وليس بينكما شيء». وفي لفظ بعضهم: «أبيع الدنانير وآخذ مكانها الورق، وأبيع الورق وآخذ مكانها الدنانير» قال الأرناؤوط: إسناده على شرط مسلم.

فابن عمر كان يبيع الإبل بالدنانير أو بالدراهم، وقد يقبض الثمن في الحال، وقد يبيع بيعًا آجلاً، وعند قبض الثمن ربما لا يجد مع المشتري بالدنانير إلا دراهم، وقد يجد من اشترى بدراهم ليس معه إلا دنانير، أفيأخذ قيمة الثمن يوم ثبوت الدين أم يوم الأداء؟

فمثلاً: إذا باع بمائة دينار، وكان سعر الصرف: الدينار بعشرة دراهم، أي أن له ما قيمته ألف درهم، وتغير سعر الصرف يوم الأداء فأصبح الدينار مثلاً بأحد عشر درهمًا، أفيأخذ الألف أم ألفًا ومائة؟ وإذا أصبح بتسعة دراهم فقط، أفيأخذ تسعمائة درهم يمكن صرفها بمائة دينار يوم الأداء، أم يأخذ ألف درهم قيمة الدينار يوم البيع؟

بين الرسول صلى الله عليه وسلم أن العبرة بسعر الصرف يوم الأداء، وابن عمر الذي عرف الحكم من الرسول الكريم، سأله بكر بن عبد الله المزني ومسروق العجلي عن كري لهما، له عليهما دراهم وليس معهما إلا دنانير، فقال ابن عمر: أعطوه بسعر السوق.

فهذا الحديث الشريف يعتبر أصلاً في أن الدين يُؤدَّى بمثله لا بقيمته، حيث يؤدَّى عند تعذر المثل بما يقوم مقامه، وهو سعر الصرف يوم الأداء، لا يوم ثبوت الدين.

ومن السنة المطهرة ما يبين أن الأموال الربوية يُنظر فيها إلى المثل قدرًا، ولا عبرة بالقيمة، ويوضح هذا حديث تمر خيبر المشهور، حيث قيل للرسول صلى الله عليه وسلم: إنا نبتاع الصاع من هذا بالصاعين، والصاعين بالثلاثة، فقال صلى الله عليه وسلم: «لا تفعل، وفي رواية: إنه عين الربا، بع الجمع بالدراهم ثم ابتع بالدراهم جنيبًا» رواه البخاري.

ومما يعد أصلاً في موضوعنا كذلك ما رواه أبو داود في سننه عن المستورد بن شداد رضي الله عنه قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: «من كان لنا عاملاً فليكتسب زوجة، فإن لم يكن له خادم فليكتسب خادمًا، فإن لم يكن له مسكن فليكتسب مسكنًا» [رواه أبو داود وصححه الألباني].

وما رواه أحمد في مسنده عن المستورد أيضًا قال: «من ولي لنا عملاً فلم يكن له زوجة فليتزوج، أو خادم فليتخذ خادمًا، أو مسكن فليتخذ مسكنًا، أو دابة فليتخذ دابة». [مسند أحمد ٤/ ٢٢٩- ٢٣٠].

قال الخطابي في معالم السنن: هذا يتاول على وجهين:

أحدهما: أنه إنما أباح اكتساب الخادم والمسكن من عمالته التي من أجرة مثله.

والوجه الآخر: أن للعامل السكنى والخدمة فإن لم يكن له مسكن ولا خادم استُؤجر له من يخدمه فيكفيه مهنة مثله، ويُكترى له مسكن يسكنه مدة مقامه في عمله.

وفي عون المعبود (٨/ ١٦١) جاء في شرح الحديث: «يحل له أن يأخذ مما في تصرفه من مال بيت المال قدر مهر زوجته ونفقتها وكسوتها، وكذلك ما لا بد منه من غير إسراف وتنعم». وذكر بعد هذا قول الخطابي.

يؤخذ من هذا الحديث الشريف أن أجر العامل مرتبط بتوفير تمام الكفاية، ومعنى هذا أن الأجر يجب أن يتغير تبعًا لتغير قيمة العملة، وهذا يختلف عن الالتزام بالدَّيْن كما بينه حديث ابن عمر.

وللحديث بقية إن شاء الله تعالى

باب الفقه

أحكام الصلاة

الأماكن المنهي عن الصلاة فيها

النهي عن الصلاة في المقبرة

إعداد/ د. حمدي طه

ما يزال الحديث موصولاً عن الأماكن التي ورد النهي عن الصلاة فيها، وقد أرجأت الكلام عن الصلاة في المقبرة وإليها عن ترتيبها الفقهي المعتاد في كتب الفقه؛ لما لهذا الأمر من أهمية بالغة، خاصة وقد ابتُليت طوائف من الأمة بهذا الأمر حتى وجدنا ممن ينتسب إلي الأزهر الشريف من أهل العلم من يدافع عن بناء المساجد علي القبور مخالفًا بذلك صحيح السنة، وما كان عليه سلف الأمة، ولذلك سأبدأ حديثي بتلك الأحاديث التي وردت في هذا الشأن ثم أبين كلام أهل العلم فيها؛ ليكون القارئ علي بينة من أمره:

أحاديث النهي عن اتخاذ القبور مساجد:

١- عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في مرضه الذي لم يقم منه: «لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد» قالت: فلولا ذاك أُبرز قبره غير أنه خشي أن يتخذ مسجدًا. رواه البخاري ومسلم.

فائدة: قول عائشة هذا يدل دلالة واضحة على السبب الذي من أجله دفنوا النبي صلى الله عليه وسلم في بيته، ألا وهو سد الطريق على من عسى أن يبني عليه مسجدًا.

٢- عن عائشة وابن عباس رضي الله عنهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما حضرته الوفاة جعل يلقي على وجهه طرف خميصة له، فإذا اغتم كشفها عن وجهه، وهو يقول: «لعنة الله على اليهود اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد». تقول عائشة: يحذر مثل الذي صنعوا. رواه البخاري ومسلم.

قال الحافظ ابن حجر: « وكأنه صلى الله عليه وسلم علم أنه مرتحل من ذلك المرض، فخاف أن يُعظَم قبره كما فعل من مضى فلعن اليهود والنصارى إشارة إلى ذم مَن يفعل فعلهم».

٣- عن عائشة رضي الله عنها قالت: لما كان مرض النبي صلى الله عليه وسلم تذاكر بعض نسائه كنيسة بأرض الحبشة، يقال لها: مارية، وقد كانت أم سلمة وأم حبيبة رضي الله عنهما قد أتتا أرض الحبشة فذكرن من حسنها وتصاويرها قالت: فرفع النبي صلى الله عليه وسلم رأسه فقال: «أولئك إذا كان فيهم الرجل الصالح بنوا على قبره مسجدًا، ثم صوروا تلك الصور، أولئك شرار الخلق عند الله يوم القيامة»

رواه البخاري ومسلم.

قال الحافظ ابن رجب في «فتح الباري»: هذا الحديث يدل على تحريم بناء المساجد على قبور الصالحين، وتصوير صورهم فيها كما يفعله النصارى، ولا ريب أن كل واحد منهما محرم على انفراده.

٤- عن جندب بن عبد الله البجلي رضي الله عنه أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم قبل أن يموت بخمس وهو يقول: «قد كان لي فيكم إخوة وأصدقاء، وإني أبرأ إلى الله أن يكون لي فيكم خليل، وإن الله عز وجل قد اتخذني خليلاً كما اتخذ إبراهيم خليلاً، ولو كنت متخذًا من أمتي خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً، ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد؛ فإني أنهاكم عن ذلك» رواه مسلم.

٥- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « اللهم لا تجعل قبري وثنًا، لعن الله قومًا اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد» رواه أحمد (رقم ٧٣٥٢) وصححه الألباني.

قال ابن عبد البر: الوثن الصنم، يقول: لا تجعل قبري صنمًا يُصلَّى ويُسجد نحوه ويُعبَد، فقد اشتد غضب الله على من فعل ذلك، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحذّر أصحابه وسائر أمته من سوء صنيع الأمم قبلهم الذين صلوا إلى قبور أنبيائهم واتخذوها قبلة ومسجدًا، كما صنعت الوثنية بالأوثان التي كانوا يسجدون إليها ويعظمونها، وذلك الشرك الأكبر، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخبرهم بما في ذلك من سخط الله وغضبه، وأنه مما لا يرضاه خشية عليهم من امتثال طرقهم، وكان صلى الله عليه وسلم يحب مخالفة أهل الكتاب وسائر الكفار.

٦- عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إن من شرار الناس من تدركه الساعة وهم أحياء، ومن يتخذ القبور مساجد» رواه ابن خزيمة في صحيحه وأحمد في المسند وحسنه الألباني.

وبعد أن ذكرنا بعض الأحاديث التي تنهي عن اتخاذ القبور مساجد نذكر بعضًا من كلام أهل العلم عن حكم اتخاذها مساجد.

اتخاذ المساجد على القبور محرم ومن الكبائر

قال الإمام محمد تلميذ أبي حنيفة في كتابه « الآثار »: لا نرى أن يزاد على القبر، ونكره أن يُجصص أو يطيّن أو يُجعل عنده مسجد. والكراهة عند الحنفية إذا أطلقت فهي للتحريم كما هو معروف لديهم.

وقال القرطبي في تفسيره: قال علماؤنا: «وهذا يحرم على المسلمين أن يتخذوا قبور الأنبياء والعلماء مساجد».

وقال الفقيه ابن حجر الهيتمي في الزواجر عن اقتراف الكبائر: «الكبيرة الثالثة والرابعة والخامسة والسادسة والسابعة والثامنة والتسعون: اتخاذ القبور مساجد، وإيقاد السُّرج عليها، واتخاذها أوثانًا والطواف بها، واستلامها والصلاة إليها، ثم ساق بعض الأحاديث المتقدمة.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية في « الاختيارات العلمية»: «يحرم الإسراج على القبور، واتخاذ القبور على المساجد، ويتعين إزالتها، ولا أعلم فيه خلافا بين العلماء المعروفين.

وقال أبو عمر: «هذا يحرم على المسلمين أن يتخذوا قبور الأنبياء والعلماء والصالحين مساجد [التمهيد لابن عبد البر ١٦٨/١].

وقال بدر الدين العيني الحنفي: وفيه منع بناء المساجد على القبور، ومقتضاه التحريم، كيف وقد ثبت اللعن عليه. [عمدة القاري شرح صحيح البخاري ٤٥٨/٦].

وقال ابن رجب تعقيبًا علي باب هل تنبش قبور مشركي الجاهلية، ويتخذ مكانها مساجد: مقصود البخاري بهذا الباب: كراهة الصلاة بين القبور وإليها، واستدل لذلك بأن اتخاذ القبور مساجد ليس هو من شريعة الإسلام، بل من عمل اليهود، وقد لعنهم النبي - صلى الله عليه وسلم - على ذلك. [فتح الباري ١٩٤/٣].

وقال الأمير الصنعاني: وهذه الأخبار المعبر فيها باللعن والتشبيه تفيد التحريم، ومفاسد ما يبنى على القبور من المشاهد والقباب لا تُحصر. [سبل السلام شرح بلوغ المرام].

وقال صاحب تحفة الأحوذي: «إنما حرم اتخاذ المساجد عليها؛ لأن في الصلاة فيها استنانًا بسنة اليهود [تحفة الأحوذي شرح جامع الترمذي٢٦٢/٣].

وقد قال بهذا المعنى الكثير من العلماء المعاصرين يضيق المقام عن ذكر أقوالهم.

قال صاحب إيقاظ الأفهام: «يحرم اتخاذ القبور مساجد، وهو كبيرة من كبائر الذنوب، وقد جاءت أحاديث كثيرة تدل على تحريمه. [إيقاظ الأفهام في شرح عمدة الأحكام ٣/٧٠].

معنى اتخاذ القبور مساجد

قال الشيخ الألباني في كتابه الماتع تحذير الساجد: «لقد تبين من الأحاديث السابقة خطر اتخاذ القبور مساجد، وما على من فعل ذلك من الوعيد الشديد عند الله عز وجل، والذي يمكن أن يُفهم من هذا الاتخاذ إنما هو ثلاثة معان:

الأول: الصلاة على القبور بمعنى السجود عليها.

الثاني: السجود إليها واستقبالها بالصلاة والدعاء.

الثالث: بناء المساجد عليها وقصد الصلاة فيها.

وبكل واحد من هذه المعاني قال طائفة من العلماء، وجاءت بها نصوص صريحة عن سيد الأنبياء صلى الله عليه وسلم.

وقال الصنعاني في «سبل السلام (١ /٢١٤): « واتخاذ القبور مساجد أعمّ من أن يكون بمعنى الصلاة إليها أو بمعنى الصلاة عليها».

قلت: يعني أنه يعم المعنيين كليهما، ويحتمل أنه أراد المعاني الثلاثة، وهو الذي فهمه الإمام الشافعي رحمه الله، وسيأتي نص كلامه في ذلك، ويشهد للمعنى قوله صلى الله عليه وسلم: « لا تصلوا إلى قبر ولا تصلوا على قبر» [رواه الطبراني وصححه الألباني].

وأما المعنى الثاني: فقال المناوي في « فيض القدير « حيث شرح حديث عائشة رضي الله عنها المتقدم: أي اتخذوها جهة قبلتهم مع اعتقادهم الباطل، وإن اتخاذها مساجد لازم لاتخاذ المساجد عليها كعكسه، وهذا بيّن به سبب لعنهم، لما فيه من المغالاة في التعظيم.

وأما المعنى الثالث: فقد قال به الإمام البخاري فإنه ترجم للحديث الأول بقوله « باب ما يكره من اتخاذ مسجد على القبور» فقد أشار بذلك إلى أن النهي عن اتخاذ القبور مسجدًا يلزم منه النهي عن بناء المساجد عليها، وهذا أمر واضح».

العلة في النهي عن اتخاذ القبور مساجد

وردت عدة تعليلات لأهل العلم في هذا الشأن منها القول بأن عِلَّة النَّهي عن الصلاة في المقبرة خشية أن تكون المقبرة نجسة وهذا تعليل عليل، قالوا: لأنها ربما تُنبش وفيها صديد من الأموات ينجِّسُ التراب. فيُجابُ عنه بما يلي:

أولاً: أنَّ نبش المقبرة الأصل عدمُه.

ثانياً: من يقول إنك ستُصلي على تُراب فيه صديد؟

ثالثاً: مَنْ يقول إنَّ صديد ميتة الآدمي نجس؟

رابعاً: أنه لا فرق عند هؤلاء بين المقبرة القديمة؛ والمقبرة الحديثة التي يُعلم أنها لم تُنبش؛ فكل هذه المقدمات لا يستطيعون الجواب عنها؛ فيبطل التَّعليل بها. [الشرح الممتع ٢/٢٣٩].

وأصح ما قيل في التعليل: أنَّ الصَّلاة في المقبرة قد تُتَّخذ ذريعة إلى عبادة القبور، أو إلى التشبُّه بمن يعبدُ القبور، وهو الظاهر من مجموع الأحاديث الواردة في هذا الباب، قال العلامة ابن الملك: «إنما حرم اتخاذ المساجد عليها؛ لأن في الصلاة فيها استنانًا بسنة اليهود».

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في (قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة): «إنما نهى عن ذلك لأن اتخاذ المكان مسجدًا هو أن يتخذ للصلوات الخمس وغيرها كما تُبنى المساجد لذلك، والمكان المتخذ مسجدًا إنما يقصد فيه عبادة الله، ودعاؤه لا دعاء المخلوقين، فحرّم صلى الله عليه وسلم أن تتخذ قبورهم مساجد بقصد الصلاة فيها كما تُقصد المساجد، وإن كان القاصد لذلك إنما يقصد عبادة الله وحده؛ لأن ذلك ذريعة إلى أن يقصد المسجد لأجل صاحب القبر ودعائه، والدعاء به، والدعاء عنده فنهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن اتخاذ هذا المكان لعبادة الله وحده؛ لئلا يُتخذ ذلك ذريعة ينهى عنه، ولهذا جمع النبي صلى الله عليه وسلم بين محق التماثيل وتسوية القبور المشرفة إذ كان بكليهما يتوسل بعبادة البشر إلى الله. قال أبو الهياج الأسدي قال لي علي رضي الله تعالى عنه: «ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم: أن لا تدع تمثالاً إلا طمسته ولا قبرًا مشرفًا إلا سويته» رواه الجماعة إلا البخاري.

ولهذا نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن الصلاة عند طلوع الشمس؛ لأن الكفار يسجدون للشمس حينئذ وكان إذا صلى إلى سترة انحرف عنها، ولم يصمد لها صمدًا، كل ذلك حسمًا لمادة الشرك صورة ومعنى، فهذه هي العلة المقصودة

لصاحب الشرع في النهي عن الصلاة في المقبرة واتخاذ القبور مساجد لمن تأمل الأحاديث، ونظر فيها، وقد نص الشارع على هذه العلة كما تقدم (ومفاسد ما يبنى على القبور من المشاهد والقباب لا تُحصر). [وانظر أيضًا شرح عمدة الفقه ٣٦٦/٣].

حكم الصلاة في المقبرة وإليها:

حمل كثير من العلماء النهي على الكراهة سواء كانت المقبرة أمام المصلي أم خلفه. وعند الظاهرية النهي محمول على التحريم، وأن الصلاة في المقبرة باطلة وعند الحنابلة كذلك إذا كانت تحتوي على ثلاثة قبور فأكثر، أما ما فيها قبر أو قبران فالصلاة فيها صحيحة مع الكراهة إذا استقبل القبر، وإلا فلا كراهة. وقد أيد غير واحد من أهل العلم قديمًا وحديثا ما ذهب إليه ابن حزم، فقال شيخ الإسلام ابن تيمية في (الاختيارات): «ولا تصح الصلاة في المقبرة ولا إليها، والنهي عن ذلك هو سد لذريعة الشرك، وذكر طائفة من أصحابنا أن المقبرة ثلاثة قبور فصاعدًا، وليس في كلام أحمد وعامة أصحابه هذا الفرق، بل عموم كلامهم وتعليلهم واستدلالهم يوجب منع الصلاة عند قبر واحد من القبور، وهو الصواب كما لا يجوز السجود بين يدي صنم والنار وغير ذلك مما يُعبد من دون الله؛ لما فيه من التشبه بعباد الأوثان وفتح باب الصلاة عندها واتهام من يراه أنه قصد الصلاة عندها؛ ولأن ذلك مظنة تلك المفسدة فعلق الحكم بها؛ لأن الحكمة قد لا تنضبط، ولأن في ذلك حسمًا لهذه المادة وتحقيق الإخلاص والتوحيد وزجرًا للنفوس أن يتعرض لها بعبادة، وتقبيحًا لحال من يفعل ذلك. [وانظر أيضًا شرح عمدة الفقه ٣٦٦/٣].

وقال الشوكاني بعد أن حكى مذاهب العلماء في المسألة: «وأحاديث النهي المتواترة كما قال ذلك الإمام ابن حزم، لا تقصر عن الدلالة على التحريم الذي هو المعنى الحقيقي له، وقد تقرر في الأصول أن النهي يدل على فساد المنهي عنه، فيكون الحق التحريم والبطلان؛ لأن الفساد الذي يقتضيه النهي هو المرادف للبطلان من غير فرق بين الصلاة على القبر وبين المقابر وكل ما صدق عليه لفظ المقبرة».

وقال الشيخ سيد سابق من الفقهاء المعاصرين تأييدًا لرأي ابن حزم: «هذا هو الظاهر الذي لا ينبغي العدول عنه بحال، فالأحاديث صحيحة وصريحة في تحريم الصلاة عند القبر، سواء أكان قبرًا واحدًا أم أكثر». [فقه السنة ٢٩٧/١].

وقال الشيخ ابن عثيمين: «فإذا قال قائل: ما الدَّليل على عدم صحَّة الصَّلاة في المقبرة؟ قلنا: الدليل:

أولاً: قول النبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم: «الأرضُ كلُّها مسجدٌ إلا المقبرة والحَمَّام» [الترمذي وصححه الألباني]، وهذا استثناء، والاستثناء معيار العموم.

ثانياً: قول النبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم: «لعن اللَّهُ اليهودَ والنَّصارى، اتَّخَذُوا قُبُورَ أنبيائهم مَسَاجِدَ» متفق عليه. والمساجد هنا قد تكون أعمَّ من البناء؛ لأنه قد يُراد به المكان الذي يُبنى، وقد يُراد به المكان الذي يُتَّخذ مسجداً وإنْ لم يُبْنَ؛ لأنَّ المساجد جمع مَسْجِد، والمسْجِد مكان السُّجود، فيكون هذا أعمَّ من البناء.

ثالثاً: تعليل؛ وهو أنَّ الصَّلاة في المقبرة قد تُتَّخذ ذريعة إلى عبادة القبور، أو إلى التشبُّه بمن يعبدُ القُبور. [الشرح الممتع ١٠٨/٢].

مسألة:

يُستثنى من ذلك صلاة الجنازة، فإن كانت الصلاة على القبر فلا شَكَّ في استثنائها؛ لأنه ثبت عن النبيِّ عليه الصَّلاة والسَّلام أنَّه فَقَدَ المرأة التي كانت تَقُمُّ المسجد، فسأل عنها، فقالوا: «إنَّها ماتت»، وكانت قد ماتت بالليل، والصَّحابةُ رضي الله عنهم كرهوا أنْ يُخبروا النبيَّ صلَّى الله عليه وسلَّم بالليل فيخرُجَ، فقال لهم: هلاَّ آذنتموني»، أي: أخبرتموني، ثم قال عليه الصَّلاة والسَّلام: «دُلُّوني على قبرها» فدلُّوه على القبر، فقامَ وصَلَّى عليها عليه الصَّلاة والسَّلام. [أصل الحديث متفق عليه] [الشرح الممتع ١٠٩/٢].

ونختم حديثنا بكلمة للعلامة الألباني رحمه الله يقول فيها: «وإن مما يتعجب منه المؤمن البصير في دينه تهاون أكثر الفقهاء بهذه المسألة الخطيرة؛ حيث إنهم لم يتعرضوا لها بذكر صريح في كتبهم وفتاويهم فيما علمت. ولذلك كان من العسير إقناع المقلدين بها على وضوح الحجة فيها».

نسأل الله أن يوفقنا لاتباع الحق ويهدينا إليه، والحمد لله رب العالمين.

من صحيح الأحاديث القصار

درر البحار

إعداد/ علي حشيش

٢٨٣٤- عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَا تحابَّا رَجلان في الله تعالى إلاّ كَانَ أَفْضَلَهما أشدُّ حُبًّا لصاحبِه».

[البخاري في «الأدب المفرد» (ح٥٤٤)، والحاكم (١٧١/٤)، وهذا حديث صحيح].

٢٨٣٥- عن أبي هريرة رضي الله عنه أنّه سَمِعَ النّبيّ ﷺ يقولُ: «مَا رُزِقَ عَبْدٌ خَيْرًا مِن الصّبر». [الحاكم (٤١٤/٢)، وهذا حديث صحيح].

٢٨٣٦- عن أنسٍ رضي الله عنه أنّ رَسُولَ اللّـه ﷺ قال: «اللّهُمّ لاَ سَهْلَ إلاّ مَا جَعَلْتَهُ سَهْلاً، وأَنْتَ تَجْعَلُ الحَزْنَ إذا شِئْتَ سَهْلاً». [ابن السني في «عمل اليوم والليلة» (ح٣٥١)، وهذا حديث صحيح]. و«الحَزْنُ»: ما غلظ من الأرض وهو خلاف السهل. [المصباح المنير: ص١٣٤].

٢٨٣٧- عن جابرٍ رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: «مَنْ مَاتَ عَلَى شيءٍ بَعَثَهُ اللهُ عَلَيْه». [الحاكم في «المستدرك» (٣١٣/٤)، وهذا حديث حسن].

٢٨٣٨- عن فَضَالَةَ بن عُبيد رضي الله عنه أنّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ ﷺ يقول: «أَفْلَحَ مَنْ هُدِيَ إلَى الإسلامِ، وَكَانَ عَيْشُهُ كَفَافًا وقَنَعَ بِهِ». [الحاكم في المستدرك (١٢٢/٤)، وهذا حديث صحيح].

٢٨٣٩- عن عقبةَ بنِ عامرٍ رضي الله عنه قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «اقْرءوا المُعَوِّذَاتِ في دُبُرِ كُلِّ صلاةٍ». [د (١٥٢٣)، وهذا حديث حسن صحيح].

٢٨٤٠- عن ابنِ عباسٍ رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «لاَ يَزالُ أمرُ هذه الأُمةِ مُواتيًا أو مُقاربًا مَا لم يتكلّموا في الوِلدانِ والْقَدَرِ».

[حب (١٨٢٤)، والحاكم (٢٣/١)، وهذا حديث صحيح].

٢٨٤١- عن أبي موسى رضي الله عنه عن النبيِّ ﷺ أنّه قال في الفتنةِ: كَسّرُوا فيها قسيّكُمْ، وَقَطّعُوا فيها أَوْتارَكُم، والْزمُوا فيها أجوافَ بيوتِكُمْ، وكُونُوا كابْنِ آدَم».

[ت (٢٢٠٣) وقال: حديث حسن غريب].

٢٨٤٢- عَن رَبيعة بنِ عامرٍ رضي الله عنه قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «أَلظُّوا بيا ذا الجَلاَلِ والإكْرَام».

[خ في «التاريخ الكبير» (٢٨٠/١/٢)، والحاكم (٤٩٨/١)، وحم (١٧٧/٤) ح(١٧٦٣٢) وهذا حديث صحيح.

وله طريقان أحدهما من حديث أبي هريرة والآخر من حديث أنس، وحديثُ ربيعة أصَحُّهُم].

٢٨٤٣- عَنْ حذيفةَ رضي الله عنه قال: قال رسُولُ الله ﷺ: «إنّ الله خَالِقُ كُلِّ صَانعٍ وصَنيعتَه». [الحاكم (٣١/١- ٣٢)، وهذا حديث صحيح].

وأخرجه الإمامُ البخاريُ في «خَلْق أفعالِ العِبَاد» (ح١٢٤) من حديث حذيفة أيضًا ولفظُهُ: «إنّ الله يَصْنَعُ كُلّ صَانعٍ وَصَنْعَتَهُ». وتلا بعضهم عند ذلك: « وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ » [الصافات: ٩٦]. فأخبر أن الصناعات وأهلها مخلوقة.

٢٨٤٤- عن أبي هُريرةَ رضي الله عنه قال: قِيلَ لرسول الله ﷺ: أيّ النساء خيرٌ؟ قال: «خَيْرُ النّسَاء: التي تَسُرُّهُ إذَا نَظَرَ، وتُطيعُهُ إذَا أَمَر، وَلاَ تخالفُهُ في نَفْسِهَا ولا مَالِها بِمَا يُكْرَهُ».

[ن(٦٨/٦)، والحاكم (١٦١/٢)، وهذا حديث صحيح].

٢٨٤٥- عن ابنِ عباسٍ رضي الله عنهما قال: قال رسولُ الله ﷺ: «الأَخَواتُ مُؤمناتٌ: مَيمونةُ زَوْجُ النّبي ﷺ وأُخْتُها أُمّ الفَضْلِ بْنتُ الحَارِثِ، وأُختُها سَلْمى بنتُ الحَارِثِ امْرَأَةُ حَمْزة، وأسماءُ بنتُ عُميسٍ أُختهن لأمهنّ».

[الحاكم (٣٣/٤)، وابن سعد في «الطبقات» (١٣٨/٨)، وهذا حديث صحيح].

٢٨٤٦- عَنْ عبدِ الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبيّ ﷺ قال: «إذا كانَ أجلُ أحدكُم بأرضٍ أَوْثَبَتْهُ إليها الحاجةُ، فإذا بلغَ أقصى أَثَرِهِ قبضهُ اللهُ سبحانهُ، فتقولُ الأرضُ يومَ القيامةِ: رَبِّ هذا ما اسْتَوْدَعتني». [جه: (٤٢٦٣)، والحاكم (٤١/١- ٤٢)، وهذا حديث صحيح].

٢٨٤٧- عن أنسِ بنِ مالكٍ رضي الله عنه: أن أصحابَ النبيّ ﷺ كانوا يقُولُون وهم يحفرونَ الخندق: نَحْنُ الذينَ بايعوا محمدًا.. عَلَى الجِهَادِ مَا بقِينَا أبدًا.

والنبيُّ ﷺ يقولُ: «اللهم إنّ الخيرَ خيرُ الآخرة، فَاغْفِرْ للأنصارِ والمهاجرة».

[ابن سعد في «الطبقات» (٧٠/٢)، وهذا حديث صحيح].

٢٨٤٨- عن أبي جُحَيْفةَ رضي الله عنه عن رسولِ الله ﷺ قال: «مَنْ رآني في المنامِ فكأنّما رآني في اليَقظةِ؛ إنّ الشيطانَ لا يستطيعُ أن يتمثّلَ بي».

[جه (٣٩٠٤)، وهذا حديثٌ حَسَن، وأبو جُحيفةَ صحابيٌّ مشهورٌ بِكُنْيَته وهو وهبُ بنُ عبدِ الله].

قلت: وحتى لا يقول من لا علم له بطرق الحديث فالحديث جاء في أعلى درجات الصحة، لكن من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَن رآني في المنَام فَقَدْ رآني فَإنّ الشيطانَ لا يَتَمثّلُ بي». [خ (٦٩٩٣)، م(٢٢٦٦)، فهو متفق عليه، بل بلغ حد التواتر، فقد أورده الإمام الكتاني في «نظم المتناثر من الحديث المتواتر» (ح٢٧٥) من أحاديث ثمانين صحابيًا لا يتسع المكان لذكرهم رضي الله عنهم ولا لتخريج أحاديثهم].

بدع شهر رجب

إعداد/ صلاح نجيب الدق

الحمدُ لله الذي أكمل لنا الدين، وأتم علينا نعمته، ورضي لنا الإسلام ديناً، والصلاة والسلام على نبينا محمد، الذي بعثه ربه هادياً، ومبشراً ونذيراً، وداعياً إليه بإذنه وسراجاً منيراً.

أما بعد: فإن شهر رجب هو أحد الأشهر الحرم، التي ذكرها الله تعالى في القرآن الكريم، من أجل ذلك أحببت أن أحذر نفسي وإخواني القرّاء الكرام من بعض البدع التي أحدثها الناس في شهر رجب، فأقول وبالله تعالى التوفيق:

تسمية شهر رجب:

سُمي رَجَبٌ بذلك؛ لأن العرب كانوا يُعظمونه في الجاهلية بترك القتال فيه. (الحوادث والبدع للطرطوشي، ص ١٣٦).

رجب أحد الأشهر الحرم:

قال الله تعالى: «إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ» (التوبة:٣٦).

عَنْ أَبِي بَكْرَةَ عَنْ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «إِنَّ الزَّمَانَ قَدْ اسْتَدَارَ كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ، السَّنَةُ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ، ثَلاثٌ مُتَوَالِيَاتٌ: ذُو الْقَعْدَةِ وَذُو الْحِجَّةِ وَالْمُحَرَّمُ وَرَجَبُ مُضَرَ، الَّذِي بَيْنَ جُمَادَى وَشَعْبَانَ». (البخاري ٤٦٦٢، ومسلم ١٦٧٩).

قال ابن حجر العسقلاني (رحمه الله): قوله صلى الله عليه وسلم: (وَرَجَبُ مُضَرَ) إضافة إليهم؛ لأنهم كانوا متمسكين بتعظيمه بخلاف غيرهم. (فتح الباري للعسقلاني ج٨ص١٧٦).

حكم القتال في الأشهر الحرم:

ذهب جمهور العلماء إلى أن تحريم القتال في الأشهر الحرم منسوخ. واستدل الجمهور على ذلك بأن الصحابة اشتغلوا بعد النبي صلى الله عليه وسلم بفتح البلاد ومواصلة القتال والجهاد، ولم يُنقل عن أحدٍ منهم أنه توقف عن القتال وهو طالب له في شيء من الأشهر الحرم، وهذا يدل على إجماعهم على نسخ ذلك. (لطائف المعارف لابن رجب الحنبلي ص٢٢٤ - ٢٢٥).

بدعة صلاة الرغائب:

صلاة الرغائب من البدع المحدثة في شهر رجب، وهي اثنتا عشرة ركعة، وتكون في ليلة أول جمعة من رجب بين صلاة المغرب والعشاء، يسبقها صيام الخميس الذي هو أول خميس في رجب. والأصل فيها حديث موضوع على رسول الله صلى الله عليه وسلم. (البدع الحولية للتويجري ص٢٤٠).

قال الإمام أبو بكر الطرطوشي (رحمه الله): «صلاة رجب لم تحدث عندنا ببيت المقدس إلا بعد سنة ثمانين وأربعمائة هجرية، وما كنا رأيناها ولا سمعنا بها قبل ذلك». (الحوادث للطرطوشي ص ١٣٣).

قال الإمام النووي (رحمه الله) عن صلاة الرغائب: «هذه الصلاة بدعة مذمومة منكرة قبيحة، ولا تغتر بذكرها في كتاب قوت القلوب والإحياء». قال ابن تيمية (رحمه الله): «صَلاةُ الرَّغَائِبِ بِدْعَةٌ بِاتِّفَاقِ أَئِمَّةِ الدِّينِ، لَمْ يَسُنَّهَا رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم وَلا أَحَدٌ مِنْ خُلَفَائِهِ وَلا اسْتَحَبَّهَا أَحَدٌ مِنْ أَئِمَّةِ الدِّينِ: كَمَالِكٍ وَالشَّافِعِيِّ وَأَحْمَد وَأَبِي حَنِيفَةَ وَالثَّوْرِيِّ

وَالأَوْزَاعِي وَاللَّيْث وَغَيْرِهِمْ. وَالْحَدِيثُ الْمَرْوِيُّ فِيهَا كَذِبٌ بِإِجْمَاعِ أَهْلِ الْمَعْرِفَةِ بِالْحَدِيثِ وَكَذَلِكَ الصَّلاَةُ الَّتِي تُذْكَرُ أَوَّلَ لَيْلَةِ جُمُعَةٍ مِنْ رَجَبٍ وَفِي لَيْلَةِ الْمِعْرَاجِ. (فتاوى ابن تيمية ج٢٣ص١٣٤).

تخصيص شهر رجب بالصيام بدعة:

عَنْ خَرَشَةَ بْنِ الْحُرِّ، قَالَ: رَأَيْتُ عُمَرَ بن الخطاب يَضْرِبُ أَكُفَّ النَّاسِ فِي رَجَبٍ، حَتَّى يَضَعُوهَا فِي الْجِفَانِ، وَيَقُولُ: كُلُوا فَإِنَّمَا هُوَ شَهْرٌ كَانَ يُعَظِّمُهُ أَهْلُ الْجَاهِلِيَّةِ. (إسناده صحيح- مصنف ابن أبي شيبة ج٤ص١٥٥حديث ٩٨٤٨).

وعَنْ عَاصِمِ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: كَانَ ابْنُ عُمَرَ إِذَا رَأَى النَّاسَ، وَمَا يُعِدُّونَ لِرَجَبٍ، كَرِهَ ذَلِكَ. (إسناده صحيح - مصنف ابن أبي شيبة ج٤ص١٥٥ حديث ٩٨٥١).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية (رحمه الله): أما صَوْمُ رَجَبٍ بِخُصُوصِهِ، فَأَحَادِيثُهُ كُلُّهَا ضَعِيفَةٌ بَلْ مَوْضُوعَةٌ لاَ يَعْتَمِدُ أَهْلُ الْعِلْمِ عَلَى شَيْءٍ مِنْهَا وَلَيْسَتْ مِنْ الضَّعِيفِ الَّذِي يُرْوَى فِي الْفَضَائِلِ، بَلْ عَامَّتُهَا مِنْ الْمَوْضُوعَاتِ الْمَكْذُوبَاتِ. (فتاوى ابن تيمية ج٢٥ ص٢٩٠).

قال الإمامُ ابنُ القيم (رحمه الله): كَانَ صلى الله عليه وسلم يَصُومُ حَتَّى يُقَالَ: لاَ يُفْطِرُ وَيُفْطِرُ حَتَّى يُقَالَ: لاَ يَصُومُ، وَمَا اسْتَكْمَلَ صِيَامَ شَهْرٍ غَيْرَ رَمَضَانَ، وَمَا كَانَ يَصُومُ فِي شَهْرٍ أَكْثَرَ مِمَّا يَصُومُ فِي شَعْبَانَ، وَلَمْ يَكُنْ يَخْرُجُ عَنْهُ شَهْرٌ حَتَّى يَصُومَ مِنْهُ. وَلَمْ يَصُمْ الثَّلاَثَةَ الأَشْهُرَ سَرْدًا كَمَا يَفْعَلُهُ بَعْضُ النَّاسِ وَلاَ صَامَ رَجَبًا قَطُّ، وَلاَ اسْتَحَبَّ صِيَامَهُ. (زاد المعاد لابن القيم ج٢ص٦٤).

قال الإمام ابنُ حجر (رحمه الله): لم يرد في فضل شهر رجب ولا في صيامه، ولا في صيام شيء منه معين، ولا في قيام ليلة مخصوصة فيه حديث صحيح يصلح للحجة، وقد سبقني إلى الجزم بذلك الإمام أبو إسماعيل الهروي. (تبيين العجب للعسقلاني ص٢٣).

قال الإمام أبو بكر الطرطوشي (رحمه الله): يُكره صيام شهر رجب على أوجه: أحدها: إذا خصه المسلمون بالصوم في كل عام حسب العوام ومن لا معرفة له بالشريعة، مع ظهور صيامه، أنه فرض كرمضان. الثاني: أنه سُنَّة ثابتة خصه رسول الله صلى الله عليه وسلم كالسُّنَن الراتبة.

ذبائح شهر رجب:

كان العرب في الجاهلية يذبحون لآلهتهم ذبيحة يسمونها العتيرة، وذلك في شهر رجب، وقد ذهب جمهور العلماء إلى أن الإسلام قد أبطل ذلك. (لطائف المعارف لابن رجب الحنبلي ص٢٢٦).

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لاَ فَرَعَ وَلاَ عَتِيرَةَ». (البخاري ٥٤٧٤ ومسلم ١٩٧٦).

الْفَرَعُ: أَوَّلُ نتَاجٍ، من الإبل والغنم، كَانَ أهل الجاهلية يَذْبَحُونَهُ لآلهتهم.

قال الإمام الحسنُ البصري (رحمه الله): ليس في الإسلام عتيرة، إنما كانت العتيرة في الجاهلية، كان أحدهم يصوم رجب ويعتر فيه.

قال الإمام ابنُ رجب الحنبلي: ويُشْبه الذبح في رجب اتخاذه موسماً وعيداً، كأكل الحلوى ونحوها. (لطائف المعارف لابن رجب الحنبلي ص٢٢٧).

عمرة شهر رجب:

تخصيصُ شهر رجب بالعُمْرة بدعةٌ، ليس لها أصل؛ لأنه ليس هناك دليل شرعيٌ على تخصيص شهر رجب بالعمرة فيه، مع ثبوت أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يعتمر في رجب قط. ولو كان لتخصيصه بالعمرة فضل لدلَّ النبي صلى الله عليه وسلم أمته عليه، وهو الحريص عليهم، كما دلهم على فضل العمرة في رمضان، ونحو ذلك.

عَنْ مُجَاهِدٍ قَالَ: دَخَلْتُ أَنَا وَعُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ الْمَسْجِدَ فَإِذَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا جَالِسٌ إِلَى حُجْرَةِ عَائِشَةَ وَإِذَا نَاسٌ يُصَلُّونَ فِي الْمَسْجِدِ صَلاَةَ الضُّحَى قَالَ: فَسَأَلْنَاهُ عَنْ صَلاَتِهِمْ؟ فَقَالَ: بِدْعَةٌ ثُمَّ قَالَ لَهُ: كَمْ اعْتَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم؟ قَالَ: أَرْبَعًا إِحْدَاهُنَّ فِي رَجَبٍ فَكَرِهْنَا أَنْ نَرُدَّ عَلَيْهِ قَالَ: وَسَمِعْنَا اسْتِنَانَ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ (صوت مرور السواك على أسنانها) فِي الْحُجْرَةِ. فَقَالَ عُرْوَةُ: يَا أُمَّاهُ يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ أَلاَ تَسْمَعِينَ مَا يَقُولُ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ؟ قَالَتْ: مَا يَقُولُ؟ قَالَ: يَقُولُ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم اعْتَمَرَ أَرْبَعَ عُمَرَاتٍ إِحْدَاهُنَّ فِي رَجَبٍ. قَالَتْ: يَرْحَمُ اللَّهُ أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ مَا اعْتَمَرَ عُمْرَةً إِلاَّ وَهُو شَاهِدُهُ، وَمَا

اعْتَمَرَ فِي رَجَبٍ قَطُّ. (البخاري ١٧٧٥، ومسلم ١٢٥٥).

حكْم الاحتفال بليلة الإسراء والمعراج

وقت الإسراء والمعراج:

ذَكَرَ الإمامُ ابنُ حجر العسقلاني أن اختلاف أهل العلم في تحديد وقت الإسراء والمعراج يزيد على عشرة أقوال: منها أنه قد وقع في ربيع الأول أو في ربيع الآخر أو في رجب أو في رمضان أو في شوال. (فتح الباري للعسقلاني ج ٧ص٢٤٢).

أجمع سلفنا الصالح على أن اتخاذ موسم غير المواسم الشرعية من البدع المحدثة التي نهى عنها نبينا محمد صلى الله عليه وسلم.

عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ». (البخاري ٢٦٩٧، ومسلم ١٧١٨).

وبناءً على ما سبق، نقول وبالله تعالى التوفيق: الاحتفال بليلة الإسراء والمعراج بدعة محدثة، لم يفعلها نبينا صلى الله عليه وسلم، ولا الصحابة، ولا التابعون، ولا من تبعهم من السلف الصالح، وهم أحرص الناس على العمل الصالح. وسوف نذكر أقوال بعض أهل العلم في ذلك:

(١) قال الإمام ابن القيم: قال شيخ الإسلام ابن تيمية(رحمه الله): لَا يُعْرَفُ عَنْ أَحَدٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ أَنَّه جَعَلَ لِلَيْلَةِ الْإِسْرَاءِ فَضِيلَةً عَلَى غَيْرِهَا، لَاسِيَّمَا عَلَى لَيْلَةِ الْقَدْرِ، وَلَا كَانَ الصَّحَابَةُ وَالتَّابِعُونَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ يَقْصِدُونَ تَخْصِيصَ لَيْلَةِ الْإِسْرَاءِ بِأَمْرٍ مِنَ الْأُمُورِ وَلَا يَذْكُرُونَهَا، وَلِهَذَا لَا يُعْرَفُ أَيُّ لَيْلَةٍ كَانَتْ، وَإِنْ كَانَ الْإِسْرَاءُ مِنْ أَعْظَمِ فَضَائِلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَمَعَ هَذَا فَلَمْ يُشْرَعْ تَخْصِيصُ ذَلِكَ الزَّمَانِ وَلَا ذَلِكَ الْمَكَانِ بِعِبَادَةٍ شَرْعِيَّةٍ، بَلْ غَارُ حِرَاءَ الَّذِي ابْتُدِئَ فِيهِ بِنُزُولِ الْوَحْيِ وَكَانَ يَتَحَرَّاهُ قَبْلَ النُّبُوَّةِ لَمْ يَقْصِدْهُ هُوَ وَلَا أَحَدٌ مِنْ أَصْحَابِهِ بَعْدَ النُّبُوَّةِ مُدَّةَ مُقَامِهِ بِمَكَّةَ، وَلَا خُصَّ الْيَوْمُ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْوَحْيُ بِعِبَادَةٍ وَلَا غَيْرِهَا، وَلَا خُصَّ الْمَكَانُ الَّذِي ابْتُدِئَ فِيهِ بِالْوَحْيِ وَلَا الزَّمَانُ بِشَيْءٍ. (زاد المعاد لابن القيم ج١ص٥٨).

(٢) قال الإمام ابن رجب الحنبلي(رحمه الله): لا يُشرع أن يتخذ المسلمون عيدًا إلا ما جاءت الشريعة باتخاذه عيدًا، وهو يوم الفطر ويوم الأضحى وأيام التشريق، وهي أعياد العام ويوم الجمعة وهو عيد الأسبوع، وما عدا ذلك فاتخاذه عيداً وموسماً بدعة، لا أصل له في الشريعة. (لطائف المعارف لابن رجب الحنبلي ص٢٢٨).

(٣) قال الإمام ابن الحاج (رحمه الله): من البدع التي أحدثوها فيه -أعني في شهر رجب- ليلة السابع والعشرين منه التي هي ليلة المعراج. (المدخل لابن الحاج ج١ص٢٩٤).

(٤) قال الشيخ محمد عبد السلام الشقيري (رحمه الله): قراءة قصة المعراج، والاحتفال لها في ليلة السابع والعشرين من رجب بدعة، وتخصيص بعض الناس لها بالذكر والعبادة بدعة، والأدعية التي تُقال في رجب، وشعبان، ورمضان كلها مخترعة مبتدعة، ولو كان خيراً لسبقونا إليه، والإسراء لم يقم دليل على ليلته، ولا على شهره، ومسألة ذهابه صلى الله عليه وسلم ورجوعه ليلة الإسراء ولم يبرد فراشه لم تثبت، بل هي أكذوبة من أكاذيب الناس.

ونسوق هنا مجموعة من الأحاديث لبيان ضعفها ووضعها، جاء في فضائل شهر رجب أحاديث، منها الضعيف ومنها الموضوع. وسوف نذكر بعضاً منها:

من الأحاديث الضعيفة:

(١) (إن في الجنة نهراً يقال له رجب ماؤه أشد بياضاً من اللبن وأحلى من العسل من صام يوماً من رجب سقاه الله من ذلك النهر) (تبيين العجب للعسقلاني ص٣٣).

(٢) (اللهم بارك لنا في رجب وشعبان وبلغنا رمضان).(تبيين العجب للعسقلاني ص٣٧).

(٣) (إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يصم بعد رمضان إلا رجباً وشعبان) (تبيين العجب للعسقلاني ص٤٠)

ومن الأحاديث الموضوعة:

(١) (رجب شهر الله، وشعبان شهري ورمضان شهر أمتي، فمن صام رجب إيماناً واحتساباً استوجب رضوان الله الأكبر وأسكنه الفردوس الأعلى) (الموضوعات لابن الجوزي ج٢ص٢٠٥).

(٢) (من صام ثلاثة أيام من رجب كتب الله له صيام شهر، ومن صام سبعة أيام أغلق عنه سبعة أبواب من النار) (الموضوعات لابن الجوزي

ج٢ص٢٠٦).

(٣) (من أحيا ليلة من رجب وصام يوماً، أطعمه الله من ثمار الجنة، وكساه من حُلل الجنة، وسقاه من الرحيق المختوم) (الموضوعات لابن الجوزي ج٢ص٢٠٨).

(٤) (من فرَّج عن مؤمن كربةً في رجب أعطاه الله تعالى في الفردوس قصراً مَدَّ بصره، أكرموا رجباً يكرمكم الله بألف كرامة) (تبيين العجب للعسقلاني صـ٤٧).

(٥) (رجب من الأشهر الحرم، وأيامه مكتوبة على أبواب السماء السادسة، فإذا صام الرجل منه يوماً، وجوَّدَ صومه بتقوى الله، نطق الباب ونطق اليوم، فقالا: يا رب اغفر له، وإذا لم يتم صومه بتقوى الله لم يستغفرا له)(تبيين العجب للعسقلاني ص٤٨).

(٦) (خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل رجب بجمعة، فقال: أيها الناس: إنه قد أظلكم شهر عظيم، شهر رجب، شهر الله الأصم، تُضاعف فيه الحسنات، وتُستجابُ فيه الدعوات، ويُفرجُ عن الكُرُبات، لا يُرَدُّ فيه للمؤمنين دعوة، فمن اكتسب فيه خيراً ضُوعف له فيه أضعافاً مضاعفة، واللهُ يضاعف لمن يشاء. فعليكم بقيام ليله، وصيام نهاره)(تبيين العجب للعسقلاني ص٦١).

(٧) (بُعثتُ نبياً في السابع والعشرين من رجب، فمن صام ذلك اليوم كان كفارة ستين شهراً) (تبيين العجب للعسقلاني ص٦٤).

(٨)(من صلى المغرب أول ليلة من رجب ثم صلى بعدها عشرين ركعة، يقرأ في كل ركعة بفاتحة الكتاب وقل هو الله أحد مرة، ويسلم فيهن عشر تسليمات، أتدرون ما ثوابه؟ فإن الروح الأمين جبريل علمني ذلك. قلنا: الله ورسوله أعلم. قال: حفظه الله في نفسه وماله وأهله وولده وأُجير من عذاب القبر وجاز على الصراط كالبرق بغير حساب ولا عذاب) (الموضوعات لابن الجوزي ج٢ص١٢٣).

(٩) (من صام يوماً من رجب وصلى فيه أربع ركعات، يقرأ في أول ركعة مائة مرة آية الكرسي، وفي الركعة الثانية مائة مرة قل هو الله أحد، لم يمت حتى يَرى مقعده من الجنة أو يُرى له.) (الموضوعات لابن الجوزي ج٢ص١٢٣).

(١٠) (من صلى ليلة النصف من رجب أربع عشرة ركعة يقرأ في كل ركعة الحمد لله مرة، وقل هو الله أحد عشرين مرة) (الموضوعات لابن الجوزي ج٢ص١٢٦).

(١١) (إن شهر رجب شهر عظيم، من صام منه يوماً كَتَبَ اللهُ له صومَ ألف سنة).(الموضوعات لابن الجوزي ج٢ص٢٠٧).

(١٢) حديث صلاة الرغائب (لا تغفلوا عن أول ليلة في رجب، فإنها ليلة تسميها الملائكة الرغائب، وذلك أنه إذا مضى بك الليل لا يبقى ملكٌ مُقرَّبٌ في جميع السموات والأرض إلا ويجتمعون في الكعبة وحواليها، فيطلع الله عز وجل عليهم اطلاعة، فيقول: ملائكتي: سلوني ما شئتم، فيقولون يا ربنا حاجتنا إليك أن تغفر لصوام رجب، فيقول الله عز وجل: قد فعلت ذلك. ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: وما من أحد يصوم يوم الخميس أول خميس في رجب، ثم يصلي فيما بين العشاء والعتمة، يعني ليلة الجمعة، ثنتي عشرة ركعة، يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب مرة، وإنا أنزلناه في ليلة القدر ثلاث مرات، وقل هو الله أحد اثنتي عشرة مرة، يفصل بين كل ركعتين بتسليمة، فإذا فرغ من صلاته صلى عليَّ سبعين مرة، ثم يقول: اللهم صل على محمد النبي الأمي وعلى آله، ثم يسجد فيقول في سجوده: سبوح قدوس رب الملائكة والروح سبعين مرة، ثم يرفع رأسه فيقول: رب اغفر لي وارحم وتجاوز عما تعلم إنك أنت العزيز الأعظم سبعين مرة، ثم يسجد الثانية فيقول مثل ما قال في السجدة الأولى، ثم يسأل الله تعالى حاجته، فإنها تقضى. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: والذي نفسي بيده ما من عبد ولا أمة صلى هذه الصلاة إلا غفر الله تعالى له جميع ذنوبه وإن كانت مثل زبد البحر وعدد ورق الأشجار، وشفع يوم القيامة في سبعمائة من أهل بيته) (الموضوعات لابن الجوزي ج٢ص١٢٤).

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين. وصلى اللهُ وسلم على نبينا محمد، وعلى آله، وصحبه، والتابعينَ لهم بإحسان إلى يوم الدين.

من روائع الماضي

حرمة دماء المسلمين

بقلم/ فضيلة الشيخ: محمد صفوت نور الدين
الرئيس الأسبق لجماعة أنصار السنة المحمدية رحمه الله



الحمد لله وحده، يُحمد في السراء والضراء، سبحانه، والصلاة والسلام على خير خلقه محمد وآله وصحبه.. وبعد:

أريد بهذه الكلمة أن أذكر بمسائل مهمة:

أولاً: حرمة الدم المسلم، وهي من الضرورات الخمس التي جاء الإسلام لحمايتها.

ثانياً: حرمة المساجد، التي هي بيوت الله، وحق على المسلمين أن يؤمنوا الداخل إليها.

ثالثاً: أثر فرق الضلال في القديم والحديث في استحلال الدماء والأموال.

رابعاً: واقع الأمة في ظهور الغلو ومنبته وطريقة علاجه.

حرمة المسلم

إن دماء المسلمين وأموالهم وأعراضهم محرمة من بعضهم على بعض، لا تحل إلا بإذن الله ورسوله، وفي ذلك كانت خطبة النبي صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع، فقال: «إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا، في شهركم هذا، في بلدكم هذا» رواه البخاري وغيره. وقال صلى الله عليه وسلم: «كل المسلم على المسلم حرام، دمه، وماله، وعرضه» رواه مسلم، وقال صلى الله عليه وسلم «من صلى صلاتنا واستقبل قبلتنا وأكل ذبيحتنا، فهو المسلم له ذمة الله ورسوله» رواه البخاري.

فالأخوة الإسلامية تعني حفاظ المسلم على أخيه المسلم، ونصره له. يقول ابن حجر: «لأن حق المسلم على المسلم أن ينصره، لا أن يروّعه، ويحمل السلاح عليه، فالمسلم دمه وماله وعرضه حرمته كحرمة البيت الحرام، بل أشد».

حرمة رفع السلاح على المسلم

فلقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم عليه

وسلم أنه قال: «إذا التقى المسلمان بسيفيهما، فالقاتل والمقتول في النار». قالوا: يا رسول الله، هذا القاتل، فما بال المقتول؟! قال: «كان حريصًا على قتل صاحبه» رواه البخاري. وفي حديث أبي هريرة موقوفًا عند الترمذي، ومرفوعًا عند ابن أبي شيبة: «الملائكة تلعن أحدكم إذا أشار إلى الآخر بحديدة، وإن كان أخاه لأبيه وأمه» رواه مسلم. وأخرج البخاري من حديث ابن عمر وأبي موسى، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «من حمل علينا السلاح فليس منا». وروى أحمد عن جابر قال: مر النبي صلى الله عليه وسلم في مجلس يسلون سيفًا يتعاطونه بينهم غير مغمود، فقال: «ألم أزجر عن هذا ؟ إذا سل أحدكم السيف فليغمده ثم ليعطه أخاه».

قال ابن العربي: إذا استحق الذي يشير بالحديدة اللعن، فكيف بمن يصيب بها، وإنما استحق اللعن سواء كان جادًا أم لاعبًا، وإنما يؤاخذ اللاعب لما أدخله على أخيه من الروع، ولا يخفى أن إثم الهازل دون إثم الجاد، وإنما نهى عن تعاطي السيف مسلولاً لما يخاف من الغفلة عند التناول فيسقط فيؤذي.

وروى البخاري ومسلم عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لا يشير أحدكم بالسلاح، فإنه لا يدري لعل الشيطان ينزغ في يده فيقع في حفرة الشيطان».

المساجد بيوت الله

أمر الله تعالى ببناء بيوته وشرّف من بناها وعمرها، فقال تعالى: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾ [النور: ٣٦]

وقد أمر النبي صلى الله عليه وسلم بتطهيرها وحرم الإساءة فيها، ففي حديث البخاري عن أنس رضي الله عنه: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «البزاق في المسجد خطيئة وكفارتها دفنها».

وأمر صلى الله عليه وسلم بتحية المساجد بالصلاة، فقال: «إذا دخل أحدكم المسجد فليركع ركعتين قبل أن يجلس» ووعد من بناه بالجنة، فقال صلى الله عليه وسلم: «من بنى مسجدًا يبتغي به وجه الله بنى الله له مثله في الجنة».

ولقد صلى النبي صلى الله عليه وسلم على المرأة التي كانت تَقُمّ المسجد وتنظّفه بعد دفنها، صلى على قبرها، وكانت امرأة سوداء اسمها «أم محجن». فانظر كيف قدّرها بخدمتها للمسجد وتنظيفه.

وتدبر حديث النبي صلى الله عليه وسلم: «سبعة يظلهم الله بظله، يوم لا ظل إلا ظله...» ذكر منهم: «رجل قلبه معلق بالمساجد». والقلب ملك البدن، إن تعلق ببيت الملك الأعلى نجى صاحبه من أهوال يوم القيامة، فكيف يرجو النجاة مَن روّع المصلين، فضلاً عن قتلهم!!!

حرمة المسجد

ولقد أخرج البخاري عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: مر رجل في المسجد ومعه سهام، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أمسك بنصالها». قال ابن حجر: فيه إشارة إلى تعظيم قليل الدم وكثيره، وتأكيد حرمة المسلم.

وأخرج الشيخان عن أبي موسى عن النبي صلى الله عليه وسلم: «إذا مر أحدكم في مسجدنا أو في سوقنا ومعه نبل فليمسك على نصالها». أو قال: «فليقبضن بكفّه أن يصيب أحدًا من المسلمين بشيء».

مرض المسلمين في الفُرقة التي تصيبهم

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَإِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ﴾ [المؤمنون: ٥٢].

وروى مسلم عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن الشيطان أيس أن يُعبَد في أرضكم هذه، ولكن رضي بالتحريش بينهم». وأخرج مسلم في «صحيحه» عن ثوبان رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن الله زوى لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها، وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زوى لي منها، وأعطيت الكنزين الأحمر والأبيض، وإني سألت ربي لأمتي ألا يهلكها بسنة عامة، وألا يسلط عليهم عدوًا من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم، وإن ربي قال: يا محمد، إني إذا قضيت قضاءً فإنه لا

يرد، وإني أعطيت لأمتك ألا أهلكهم بسنة عامة، وألا أسلط عليهم عدوًا سوى أنفسهم يستبيح بيضتهم، ولو اجتمع عليهم من بأقطارها حتى يكون بعضهم يهلك بعضًا ويسبي بعضهم بعضًا».

فرق الضلال واستباحة الحرمات

لقد كانت فرق الضلال - ولا تزال- تستبيح الحرمات في الدماء والأموال والمقدسات، فإذا كانت الصين وهم وثنيون كتبوا لفظ الجلالة على بعض النعال، فلقد سبقهم في ذلك النصيرية (المسمون اليوم بالعلويين)، وكانوا يكتبون لفظ الجلالة أسفل القدم، وإن أول من خرج على المسلمين بالسلاح هم الخوارج.

يقول ابن كثير في «البداية والنهاية»: الخوارج ضرب من الناس من أغرب أشكال بني آدم، فسبحان من نوّع خلقه كما أراد وسبق في قدره العظيم، وما أحسن ما قاله بعض السلف في الخوارج: أنهم المذكورون في قوله تعالى: «قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴿١٠٣﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا» [الكهف: ١٠٣- ١٠٥].

أسر الخوارج عبد الله بن خباب وامرأته معه وهي حامل، فسألوه أن يحدثهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فحدثهم بحديث: «ستكون فتنة القاعد فيها خير من القائم، والقائم فيها خير من الماشي، والماشي فيها خير من الساعي»، فاقتادوه معهم، فبينما هو يسير معهم إذ لقي بعضهم خنزيرًا لبعض أهل الذمة، فضربه بعضهم فشق جلده، فقال له آخر: لِمَ فعلت هذا وهو لذمي؟ فذهب إلى الذمي فاستحله وأرضاه، وبينما هو معهم إذ سقطت تمرة من نخلة، فأخذها أحدهم فألقاها في فمه، فقال له آخر: بغير إذن ولا ثمن؟ فألقاها ذلك من فمه، ومع هذا قدموا عبد الله بن خباب فذبحوه، وجاءوا إلى امرأته، فقالت: إني امرأة حبلى، ألا تتقون الله، فذبحوها وبقروا بطنها عن ولدها.

وفي وصف ابن حجر لطائفة الخوارج قال: ومن قولهم: من لم يخرج يحارب المسلمين فهو كافر، ولو اعتقد معتقدهم، وتوسعوا في معتقدهم الباطل فأبطلوا رجم المحصن، وقطعوا يد السارق من الإبط، وأوجبوا الصلاة على الحائض في حال حيضها، وكفروا من ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، إن كان قادرًا، وإن لم يكن قادرًا فقد ارتكب كبيرة!! وحكم مرتكب الكبيرة عندهم حكم الكافر، وكفوا عن أموال أهل الذمة وعن التعرض لهم مطلقًا، وفتكوا بمن ينسب إلى الإسلام بالقتل والسبي والنهب، فمنهم من يفعل ذلك مطلقًا بغير دعوة منهم، ومنهم من يدعو أولاً ثم يفتك.

قول النبي صلى الله عليه وسلم في الخوارج

قال الإمام أحمد: صح الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم في الخوارج من عشرة أوجه. فعند الترمذي وابن ماجه: «إنهم كلاب أهل النار»، وقرأ هذه الآية: «يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ» [آل عمران ١٠٦]. والحديث حسنه الألباني.

وأخرج البخاري ومسلم عن أبي سعيد الخدري، أن النبي صلى الله عليه وسلم وصفهم بقوله: «يتلون كتاب الله رطبًا لا يجاوز حناجرهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية، يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان، لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد». قصد بقتل عاد استئصالهم؛ لقوله تعالى: «فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّن بَاقِيَةٍ» [الحاقة ٨]. قال النووي في شرح مسلم: قال القاضي: أجمع العلماء على أن الخوارج وأشباههم من أهل البدع والبغي متي خرجوا علي الإمام وخالفوا رأي الجماعة وشقوا العصا وجب قتالهم بعد إنذارهم قال تعالى: «فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ» [الحجرات: ٩]، لكن لا يُجهَز على جريحهم ولا يُتبَع منهزمهم، ولا يُقتل أسيرهم، ولا تُباح أموالهم، وما لم يخرجوا عن الطاعة وينتصبوا للحرب لا يُقاتَلون، بل يوعظون ويُستتابون من بدعتهم وباطلهم. (انتهى).

وكلام النووي هذا يعني أنه يجب على الشرطة المكلفة من السلطان أن تدفع شرهم بما دون القتل، حتى تبقى بهم حياة ليتمكنوا من التوبة، وهذا خلاف ما يُفعَل في كثير من بلدان الإسلام اليوم، ممن يخالف السلطان ويعادي النظام.

قال شيخ الإسلام: الخوارج هم أول من كفّر المسلمين، يكفرون بالذنوب، ويكفرون من خالفهم في بدعتهم، ويستحلون دمه وماله، وهذه حال أهل البدع، يبتدعون بدعة ويكفّرون مَن خالفهم فيها، وأهل السنة والجماعة يتبعون الكتاب والسنة، ويطيعون الله ورسوله، ويتبعون الحق ويرحمون الخلق.

وقال شيخ الإسلام أيضًا: والخوارج المارقون الذين أمر النبي صلى الله عليه وسلم بقتالهم، قاتلهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب أحد الخلفاء الراشدين، واتفق على قتالهم أئمة الدين من الصحابة والتابعين ومن بعدهم، ولم يكفرهم عليّ بن أبي طالب، وسعد بن أبي وقاص، وغيرهما من الصحابة، بل جعلوهم من المسلمين مع قتلهم، ولم يقاتلهم عليّ حتى سفكوا الدم الحرام وأغاروا على أموال المسلمين، فقاتلهم لدفع ظلمهم وبغيهم، لا لأنهم كفار، ولهذا لم يسبِ حريمهم ولم يغنم أموالهم وإذا كان هؤلاء الذين ثبت ضلالهم بالنص والإجماع لم يكفروا مع أمر الله ورسوله صلى الله عليه وسلم بقتالهم، فكيف بالطوائف المختلفين الذين اشتبه عليهم الحق في مسائل غلط فيها من هو أعلم منهم ؟! فلا يحل لأحد من هذه الطوائف أن تكفر الأخرى، ولا تستحل دمها ومالها، وإن كانت فيها بدعه محققة، فكيف إذا كانت المكفرة لها مبتدعة أيضًا؟ انتهى كلام شيخ الإسلام.

فتدبر أيها الأخ الكريم تعلم أن الإسلام دين الله الكامل بيّن بوضوح كيف يحفظ الأمة، ولذا فإنه من فضل الله ورحمته أنه قد أظهر فرق الضلال بقدرته سبحانه في وفرة أهل العلم ليسلكوا معهم السلوك المستقيم الذي يخلو من الإفراط أو التفريط، فلا تدعوهم الرحمة أن يتركوا الفساد يستشرف، ولا تدفعهم الرغبة في الانتقام أن يجهزوا عليهم فيحرموهم التوبة قبل الموت، أو يستحلوا حريمهم وأموالهم، ولو لم يظهرهم الله في قرون الخير لكان الناس اليوم في شأنهم أشد اختلافًا؛ حيث لا يجدون لهم في ذلك قدوة أو مثلاً يحتذى في معاملة البغاة وفرق الضلال وسووا بينهم وبين الكفار الأصليين الذين لم يدخلوا في الإسلام.

هذه كلمات سريعة عن الخوارج واستحلالهم للدماء والأموال، وفرقهم لا تزال إلى اليوم، ويخرج من شباب المسلمين في غياب الفهم السليم والوعي والدعوة مع وجود القهر وكبت الحريات، فيدعو قليل العلم إلى الغلو في رد أفعالهم، خاصة إذا أصبح صوت الدعاة مؤيدًا للسلطان، سواءً كان محقًا أم مبطلاً، فيختلط الأمر ولا يوجد عند الشباب من يصحح لهم الفهم، لذا صار من الضروري التوعية الإسلامية ودراسة الفِرَق الإسلامية والربط بين الأقوال التي كانوا عليها وما تفرع عنها من الأقوال وشابهها، والواقع الحادث اليوم، مما لا ينبغي إهماله، حتى لا نُلدَغ من الجحر الواحد مرارًا، وإن على العلماء والسلاطين في ذلك واجبًا لا ينبغي أبدًا أن يهملوه أو يفرطوا فيه، فإما أن ننتبه، وإلا سبحنا في بِرَك من الدماء والأشلاء.

ولم تكن فرقة الخوارج وحدها هي التي وقعت في الاستحلال، بل كان كذلك المعتزلة؛ حيث من أصولهم الخمسة: (الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر)، وهذا الأصل يخفون وراءه الأمر بالخروج على الولاة بقوة، وتاريخهم أشد من ذلك، حيث لما كانوا وزراء في الدولة العباسية قتلوا في فتنة خلق القرآن وعذبوا وأرهبوا ووقعت منهم فظائع كثيرة دوّنها التاريخ بين مختصر ومطول.

أما الشيعة فهم أخبث الفِرَق وأكثرهم تسربًا وانتشارًا وعداءً للإسلام والمسلمين وهم أهل التلون بالباطل، فهي فرقة نبتت من اليهود بيد عبد الله بن سبأ (ابن السوداء)، وقد حاول علي بن أبي طالب رضي الله عنه قتله فهرب منه، وهو الذي نقل من اليهودية فكرة الوصاية، وزعم أن النبي صلى الله عليه وسلم أوصى لعلي بن أبي طالب، وهذا الزعم الباطل هو أصل مذهب الشيعة، فإذا انهدم ذلك الأصل انهدم مذهب الشيعة كله، خاصة إذا صححنا الفهم في معنى (آل بيت النبي صلى الله عليه وسلم).

وإن فرقة القرامطة وهم الذين تفرعت منهم

الدولة الفاطمية التي حكمت المغرب وانتقلت إلى مصر والشام والحجاز زمانًا طويلاً، هذه الفرْقة لها في استحلال دماء المسلمين وأموالهم باعٌ طويل، وقد كتب ابن كثير في المجلد الحادي عشر في أعمال السنوات العشرين الأخيرة من القرن الثالث، والسنوات العشرين الأولى من القرن الرابع، ففي سنة ٢٩٤ اعترض القرامطة الحجاج العائدين من مكة فقتلوهم عن آخرهم وأخذوا أموالهم وسبوا نساءهم، فقتلوا عشرين ألف إنسان، ثم إن نساء القرامطة حملوا الماء في أيديهم وطافوا بين القتلى يزعمن أنهن يسقين الجريح العطشان، فمن كلمهن من الجرحى قتلنه وأجهزن عليه فلعنة الله عليهن وعلى أزواجهن.

وفي سنة ٣١٩ خرج القرمطي في جماعته يوم التروية، فانتهب أموال الحجاج واستباح قتالهم، فقتل في رحاب مكة وشعابها، وفي المسجد الحرام وفي جوف الكعبة من الحجاج خلقًا كثيرًا، وجلس أميرهم أبو طاهر القرمطي ـ لعنه الله ـ على باب الكعبة والرجال تُصرع حوله والسيوف تعمل في الناس في المسجد الحرام في الشهر الحرام في يوم التروية الذي هو أشرف الأيام، وهو يقول: أنا الله وبالله أنا، أخلق الخلق وأفنيهم أنا، فكان الناس يفرون منهم ويتعلقون بأستار الكعبة، فلا يجدي ذلك عنهم شيئًا، بل يُقتلون وهم كذلك، ويطوفون فيقتلون في الطواف الناس وهم محرمون، وأمر القرمطي رجلاً أن يصعد إلى الميزاب فيقتلعه، لكنه سقط ميتًا، فكف القرمطي عن الميزاب، ونزع كسوة الكعبة وشقها بين أصحابه وأمر بقطع الحجر الأسود، وأخذ يقول: أين الطير الأبابيل، أين الحجارة من سجيل، ثم أخذوا الحجر الأسود معهم إلى بلادهم، فمكث عندهم اثنين وعشرين عامًا ثم ردوه بشفاعة المعز الفاطمي الذي كان قد احتل مصر.

وفي سنة ٣٢١ لم يحج من أهل العراق أحد لخوفهم من القرامطة.

وفي سنة ٣٢٢ جمع أبو طاهر القرمطي ألفا وسبعمائة فارس فدخلوا البصرة ليلاً، فقتلوا وشردوا أهلها، ومكثوا سبعة عشر يومًا في القتل والأسر.

أما في الحديث: فإن أحداث جهيمان واستحلال الدماء في الحرم ودخول السلاح وغلق الأبواب وادعاء المهدوية في شاب يدعي (محمد بن عبد الله)، وهذه الأحداث تنبِّه إلى خطورة مخالفة أهل العلم ومحاولة الاستقلال بالفهم بعيدًا عن العلماء، وللشيخ أبي بكر الجزائري في ذلك أحاديث مهمة ينبغي للشباب أن يعوا ذلك الدرس جيدًا.

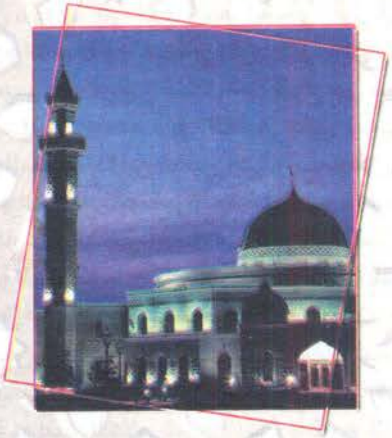
وما استباحت فيه الشيعة القادمون من إيران وبعض الخليج وما فعلوه من تفجيرات ومفرقعات في السنوات القريبة إنما هو امتداد لما فعلوه من إلقاء السموم في ماء زمزم وغيره من المياه التي يشربها الحجاج، وإنما ينبع ذلك من الأقوال الضالة والاعتقادات الفاسدة؛ حيث يرون القربة في إيذاء المسلمين واستحلال دمائهم وأموالهم.

لعلي قد أطلت، لكن الأمر يحتاج إلى بسط طويل إلا أن جماعة أنصار السنة المحمدية ما قامت إلا للتعريف بالإسلام الصحيح، فلا يخرج منها ـ بحمد الله ـ من أقوال الضلال، بل من اقترب منهم من أصحاب هذه الأقوال لفظوه، وقد يظن عندئذ الساذج أنهم انشقوا، بل إن الخوارج والشيعة والمعتزلة والمرجئة والجهمية هذه الرءوس من فرق الضلال لم تخرج من بين المسلمين، إنما لفظهم أهل السنة حتى يتميز الحق من الباطل؛ لذا من الضروري دراسة القرون الفاضلة والوقائع المعاصرة، وتحكيم شرع الله، والمحافظة على المنهج الإسلامي وتربية النشء والدعاة والتوعية بالإسلام الصحيح بعيدًا عن أقوال فِرَق الضلال وعن مشابهتهم، فلا نستهين بذلك البيان، والأمر ليس سياسة، والمقال ليس مقالاً سياسيًا، فلست ممن يحسن الكلام في السياسة، وإنما الكلام شرع ودين، وشرع الله حاكم على الخلق أجمعين، «فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ» [الذاريات: ٥٠].

والحمد لله رب العالمين.



تصديق القرآن لكتب الله وهيمنته عليها



إعداد/ مصطفى البصراتي

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعدُ:

فلا يزال حديثنا متصلاً حول دلائل عظمة القرآن، ونتناول في هذه المقالة «تصديق القرآن لكتب الله وهيمنته عليها».

قال الله تعالى: « وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ » [المائدة: ٤٨].

معنى «مُصَدِّق» في اللغة:

وردت لفظة «مُصَدِّق» في اللغة بمعان متعددة ومتنوعة، نأخذ منها ما يدل على المقصود:

جاء في المعجم الوسيط: «صَدَّقهُ، وَصَدَّقَ به، تَصْديقًا وتِصْدَاقًا: اعترف بصدق قوله، وحققه. وفي التنزيل العزيز: « وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ » [سبأ: ٢٠]. ويقال: صدَّقَ على الأمر: أقرَّه.

وفي معجم أساس البلاغة: «صدقهُ الحديث.. وصادقه ولم يُكاذِبْه، وتصادقا ولم يتكاذبا، وصدَّقه فيما قال... وعنده مصداقُ ذلك، وهو ما يصدقه من الدليل».

قال ابن منظور: «وهنا مِصْدَاقُ هذا أي ما يُصدقه».

وخلاصة المعاني اللغوية لكلمة «مُصدِّق» ما يلي:

١- الاعتراف بصدق الشيء.

٢- الإقرار على الشيء.

٣- الدلالة على صدق الشيء.

معنى «مهيمن» في اللغة:

وردت لفظة: «هيمن» في اللغة بعدة معانٍ أيضًا، نأخذ منها ما له صلة بموضوعنا: جاء في المعجم الوسيط: «هيمن فلان: قال: آمين و-على كذا: سيطر عليه، وراقبه، وحفظه...

والمهيمن: من أسماء الله تعالى، بمعنى الرقيب المسيطر على كل شيء، الحافظ له، وفي التنزيل العزيز: «مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ » [المائدة: ٤٨].

وفي مختار الصحاح: «المُهَيمنُ: الشاهدُ».

وخلاصة المعاني اللغوية لكلمة: «هيمن» ما يلي:

١- السيطرة ٢- الرقابة ٣- الحفظ ٤- الشهادة.

ووصف القرآن العظيم بأنه مُهيمنٌ ومصدّق لكتب الله يقتضي أنه:

أولاً: مُسيطرٌ عليها:

بمعنى أنه الحاكم والقاضي عليها، فهو الذي يكبح جماحَها إذا جنحت إلى الغلو والباطل، كما قال تعالى - ردًا على ما زعمه النصارى في المسيح وأمِّه: «مَّا ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَ إِلَّا رَسُولٞ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٞۖ كَانَا يَأۡكُلَانِ ٱلطَّعَامَۗ ٱنظُرۡ كَيۡفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ ثُمَّ ٱنظُرۡ أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ» [المائدة: ٧٥].

ثانيًا: رقيبٌ عليها:

بمعنى أنه المصحِّحُ لأخبارها، الممحِّصُ لحقائقها، كما في قوله تعالى: «وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمۡ» [النساء: ١٥٧].

وذلك ردًا على ما يزعمه النصارى أنه عليه السلام قُتل فوق الصليب، فكان القرآن رقيبًا على ذلك، فأوضح في الآية المتقدمة أن هذا الخبر الذي ألحقه النصارى زورًا وبهتانًا بالإنجيل المحرَّف، هو من مزاعمهم، وليس مما أُنزل على عيسى عليه السلام.

ثالثًا: حفيظ عليها:

وهو قريب من المعنى الثاني.

رابعًا: شهيدٌ عليها:

بمعنى أنه يشهد لها بالصحة والثبات، فيقرر أصولها، ويشهد بما فيها من الحقائق.

خامسًا: أمين عليها:

بمعنى أن ما أخبر به عنها، أو أنه فيها فهو الحقُ، وما عداه مما زعمه أهلُها فباطلٌ لا يُصَدَّق. قال ابن جريج: «القرآن أمينٌ على ما قبله من الكُتب، فما أخبر أهلُ الكتابِ عن كتابهم، فإن كان في القرآن فصدِّقوا، وإلا فكذِّبوا». [تفسير البغوي ٤٣/٢].

سادسًا: مُعْتَرِفٌ بصدقها:

بمعنى أنه مُعترفٌ بأنها من عند الله تعالى أنزلها على رسله - عليهم السلام - معترف بما فيها من العقائد الصحيحة، والكليات التي لا يختلف عليها العقلاء، كحُبِّ الخير، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإقامة العدل، وإحقاق الحق... إلى غير ذلك.

سابعًا: مقرِّرٌ لها على ما جاءت به من الحق:

بمعنى أنه لا ينازعها فيما جاءت به من الحق في العقائد والأخبار، وغيرها.

ثامنًا: دال على صدقها:

بمعنى أنه هو الدليل على أن هذه الكتب من عند الله، وعلى أن أخبارها الصحيحة حق، ذلك أن الكُتب السابقة جاءت -مثلاً- بأوصاف نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وأوصاف أمته، وبشَّرت بمبعثه صلى الله عليه وسلم.

فجاء القرآن العظيم مصدقًا بما أخبرت به هذه الكتب، ومطابقًا لهذه الأوصاف، فدل ذلك على صدق هذه الكتب فيما أخبرت به في هذا المجال، وصدق كونها من عند الله تعالى. [التفسير الموضوعي للآيات القرآنية المتعلقة بالكتب السماوية، د. عبد العزيز الدردير].

والمتأملُ في هذه المعاني المتقدمة يلحظ أن بعضها يقترب من بعض، إلا أنها كُلها وأكثر منها وردت فيها نصوصٌ كثيرة من القرآن العظيم تفيد أنه تصديق، أو مصدِّق لما تقدمه من كتب.

تصديق القرآن لما سبقه من كتب الله:

فبالإضافة لما تقدم ذكره، يكون تصديق القرآن العظيم لما سبقه من كتب الله من جهات متعددة:

الجهة الأولى: أثبت أنه الوحي، وقرر إمكانية وقوعه فعلاً، كما قال تعالى: «إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦ» [النساء: ١٦٣]. فهذا تصديقٌ لأصل الوحي وللرسالات السابقة، وبذلك يكون القرآن مصدقًا لما بين يديه، كما قال تعالى: «نَزَّلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ» [آل عمران: ٣].

الجهة الثانية: إن القرآن العظيم جاء حسب وصفه الموجود في تلك الكتب؛ حيث اشتمل على وصف خاتم الرسل، وأنه يأتي بكتاب من عند الله تعالى، فنزول القرآن على وفق هذه النعوت تصديقٌ لهذه الكتب.

قال ابن كثير رحمه الله في معنى قوله تعالى: «مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ» [آل عمران: ٣]: أي: من الكتب المتقدمة المتضمنة ذكره ومدحه، وأنه سينزل من عند الله على عبده ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم، فكان نزوله كما أخبرت به، مما زادها صدقًا عند حامليها من ذوي البصائر الذين انقادوا لأمر الله، واتبعوا شرائع الله وصدقوا رسل الله». [تفسير ابن كثير: ١٥٢/٣].

الجهةُ الثانية: أن القرآن العظيم وافق الكتب السابقة في مقاصد الدين وأصوله: والتي لا تختلف باختلاف الشرائع والرسالات، ومن هنا نلحظ اتفاق القرآن مع غيره من كُتب الله فيما يلي:

١- الدعوة إلى الإيمان بالله تعالى، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وما يتصل بذلك من تنزيه

الله تعالى عن النقائص، ووصفه بكل كمالٍ يليق بذاته المقدسة.

٢- تتفق الكتب المنزلة كذلك في: أصول الشرائع كالصلاة، والصيام والزكاة؛ حيث أخبر القرآنُ العظيم أن الله عز وجل تعبَّد بها من قبلنا.

فقال في الصوم: « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ » [البقرة: ١٨٣].

وقال في الصلاة والزكاة: « وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ » [البقرة: ٨٣].

ومن هنا نلحظ أن أصول الشرائع واحدةٌ في جميع الأديان، كما صرح بذلك قوله تعالى: « شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ ۖ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ » [الشورى: ١٣]. وأما تفصيلات الشرائع العملية، فتختلف فيها الكتب السماوية، اختلافًا يتلاءم مع زمان كُلٍ منها، ويتفقُ مع مصالح أتباعها، مصداق ذلك قوله تعالى: « لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا » [المائدة: ٤٨].

٣- تتفقُ الكتب المنزلة كذلك في الدعوة إلى الفضائل، والترغيب فيها، والترهيب من الرذائل والتنفير منها، فكل كتب الله أمرت بالعدل والإحسان، والصدق والصبر، والأمانة والوفاء، والرحمة، وما إلى ذلك من الفضائل ومكارم الأخلاق التي تسعد بها البشرية في كل زمان ومكان، وكل كتب الله كذلك نهت عن الظلم والخيانة والكذب والغدر والقسوة، وما إلى ذلك من الرذائل التي تُورد البشرية موارد الهلاك، ويشهد لذلك قوله تعالى: « وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا » [البقرة: ٨٣].

وقال تعالى أيضًا في حق إبراهيم وإسحاق وإسماعيل ويعقوب عليهم الصلاة والسلام: « وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ ۖ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ » [الأنبياء: ٧٣].

الجهة الرابعة من جهات تصديق القرآن لما سبقه من الكُتب: أن الله تعالى قد جمع فيه ما توزع في هذه الكتب من الفضائل، فانقذ بذلك أصول من سبقه من كتب الله وحفظها وصدقها.

فهذا القرآن هو خُلاصةٌ كاملة للرسالات الأولى، وللنصائح التي بُذلت للإنسانية من فجر وجودها، وهذا من أوضح وأبين مظاهر عظمة القرآن.

هيمنة القرآن على ما سبقه من كُتب الله:

وكما جاء القرآن العظيم مُصدِّقًا لما قبله من كتب الله، فقد جاء كذلك مهيمنًا عليها كما صرح بذلك قوله تعالى: « وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ » [المائدة: ٤٨].

ومعنى قوله: « وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ » [المائدة: ٤٨] أي: أن القرآن العظيم رقيبٌ على الكتب السابقة؛ لأنه يشهد بصحتها ويقرر أصولها، وما يتأبدُ من فروعها، ويبين أحكامها المنسوخة بتعيُّن وقت انتهاء مشروعيتها، أو على معنى أنه الحافظُ لها، فهو الذي حفظ ما جاء فيها من التوحيد وكليات الدين إلى يوم القيامة، أو على معنى أنه دالٌ على صدقها أي هو دليل على أنها من عند الله؛ لأنه جاء كما نعتتهُ هذه الكتب. [تفسير الطبري ٦/٣٦٦].

قال ابن كثير رحمه الله (١٥٣/٣): «وهذه الأقوال كُلُّها متقاربة المعنى، فإن اسم (المهيمن) يتضمن هذا كله، فهو أمين وشاهد وحاكم على كل كتاب قبله، جعل الله هذا الكتاب العظيم الذي أنزله آخرَ الكتب وخاتمها وأشملها وأعظمها وأحكمها، حيث جمع فيه محاسن ما قبله، وزاده من الكمالات ما ليس في غيره، فلهذا جعله شاهدًا وأمينًا وحاكمًا عليها كلها، وتكفل تعالى بحفظه بنفسه الكريمة، فقال تعالى: « إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ » [الحجر: ٩]».

علاقة الهيمنة بالتصديق:

ومما تقدم ذكره «نستطيع أن نقرر أن مفهوم الهيمنة أتم وأشملُ من مفهوم التصديق؛ لأن الهيمنة لا تقتصر على مجرد الشهادة لهذه الكتب بصحة إنزال أصولها، وتقرير أصولها وشرائعها، بل تتعدى ذلك فتُبينُ ما اعتراها من نسخ أو تحريف، وما عرض لها من زيف وفساد.

فالقرآن بذلك مُهيمن على المعاني الصحيحة التي كانت في تلك الكتب، وشاهدٌ بكونها من عند الله، وبذلك تتلاقى الهيمنة مع التصديق، ولكنه كذلك يشهد على هذه الكتب بما أصابها من تحريف وتسرب إليها من باطل، وبه تنفرد الهيمنة عن التصديق، فمفهومُها إذًا أتم وأشملُ من مفهوم التصديق». [تصديق القرآن الكريم للكتب السماوية وهيمنته عليها ص(٨٥)].

مظاهر هيمنة القرآن على الكُتب السابقة:

لهيمنة القرآن العظيم على كُتب الله المنزلة - فوق ما تقدم من تصديقه لها - مظاهر متعددة من أهمها ما يلي:

١- إخبارُه بتحريف الكُتب السابقة وتبديلها:

فقد تناولتها أيدي أهل الكتاب الآثمة بالتحريف والتبديل، وتناولوا ما بقي منها بالتأويل الفاسد؛ تبعًا للأهواء والشهوات، أو مُتابعةً لذوي السلطان، أو محاولةً لكسب الجدل على أعدائهم وخصومهم.

بل أخبر القرآنُ كذلك أنهم كتبوا الكتب بأيديهم ونسبوها - زورًا وبهتانًا - إلى الله تعالى: « فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ » [البقرة: ٧٩].

٢- بيان المسائل الكبرى التي خالفوا فيها الحق:

ففي جانب العقائد - على سبيل المثال - نفى القرآن العظيم ما صرحت به الأناجيل المُحرَّفة من قتل عيسى عليه السلام وصَلبه، فقال: «وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ» [النساء: ١٥٧]. وحكم على النصارى بالكفر؛ لقولهم بالتثليث، وألوهية المسيح، فقال: « لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ ۖ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ ۖ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾ لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ ۘ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۚ وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ » [المائدة: ٧٢، ٧٣].

أما التوراةُ المحرَّفة فإنها تنسبُ إلى الله تعالى كثيرًا من النقائص، والتي جاء القرآن العظيم بدحضها وإبطالها. فلقد أخبر القرآن العظيم أن اليهود نسبوا إلى الله عز وجل الولد، كما وصفهُ اليهود المعاصرونِ للنبي صلى الله عليه وسلم بالفقر، والبخل، وغل اليد.

فأتي القرآن على ذلك بالإبطال والدحض، قال تعالى: « وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ۖ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَاهِهِمْ ۖ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ ۚ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ ۚ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ » [سورة التوبة: ٣٠]. وقال تعالى: «لَّقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ ۘ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ» [آل عمران: ١٨١]، وقال تعالى: « وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا ۘ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ» [المائدة: ٦٤].

٣- بيَّن القرآن كثيرًا من المسائل التي أخفوها:

فمن ذلك: أن الدارس لأسفار العهد القديم يرى أنها «قد خلت من ذكر اليوم الآخر ونعيمه وجحيمه - وإذا كانت اليهوديةُ في أصلها تُقَرِّرُ البعث والنشور والحساب والجنة والنار، كما يُنبئ بذلك القرآن - فإن ذلك يَدُلُّ على أن اليوم الآخر وما فيه وما يتصلُ به، من المسائل التي أخفاها أهل الكتاب». [الأسفار المقدسة: علي عبد الواحد].

ومن ذلك أيضًا إخفاؤهم ما يتصل بخاتم الرسل من بشائر ونعوت، وتحريفهم لها بالحذف أو التأويل الفاسد، فجاء القرآن العظيم بالحق في ذلك كله، قال تعالى: « يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ ۚ قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ » [المائدة: ١٥].

٤- أنهى القرآنُ العمل بالكتب السابقة:

فلا اعتبار لها بجانبه؛ لأنه شغل الفراغ كُله بتشريعه المبارك الجديد، وليس لأحد أن يركن إلى هذه الكتب بعدما تسرَّب الباطلُ إليها، ولعبت الأيدي الآثمة بها. وهذا لا ينافي أن القرآن أقر كثيرًا من أحكام هذه الكتب، ولم يتناوله بنسخ، لأنه أمر بهذه الأحكام وأقرها من جديد، فعملنا ليس متابعة لهذه الكتب، بل لإقرار القرآن لها، وأمره بها، وكل آية دلت على اتحاد الشرائع فهي محمولة على مقاصد الدين وأصول العبادات، والآيات التي تدل على اختلاف الشرائع فمحمولة على الفروع وما يتعلق بظواهر العبادات، ولله الأمر من قبل ومن بعد. [المصدر السابق].

وقد تبين مما سبق ذكره أن تصديق القرآن العظيم لكتب الله السابقة وهيمنته عليها، من أهم مظاهر عظمة القرآن وفضله على كُتب الأنبياء جميعًا.

وختامًا:

فبعض المنتسبين للدعوة اليوم - في محاولة للتقريب بين الأديان - يتنازل عن كثير من أمور العقيدة؛ لإرضاء أهل الكفر بسخط الله، ويقول مخاطبًا غيرنا: إيماننا لا يتمُّ إلا بالإيمان بكتبكم - مع أنها محرفة -! وكان عليه أن يكون صريحًا لا مجاملاً أو مدلسًا.

نسأل الله الثبات على الإيمان، وألا يزيغ قلوبنا بعد إذ هدانا. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

واحة التوحيد

من نور كتاب الله

حرمة دماء المسلمين

قال تعالى: «وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِناً إِلَّا خَطَأً وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِناً خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ إِلَّا أَنْ يَصَّدَّقُوا» [الأنعام: ١٣١].

من هدي رسول الله ﷺ

احذروا القتال وقت الفتن

عن الأحنف بن قيس قال: ذهبت لأنصر هذا الرّجل، فلقيني أبو بكرة فقال: أين تريد؟ قلت: أنصر هذا الرّجل. قال: ارجع، فإنّي سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النّار». قلت: يا رسول الله، هذا القاتل. فما بال المقتول؟ قال: «إنّه كان حريصًا على قتل صاحبه». [رواه البخاري].

حكم ومواعظ

عن الحسن؛ قال: يومان وليلتان لم تسمع الخلائق بمثلهن قط: ليلة تبيت مع أهل القبور ولم تبت ليلة قبلها، وليلة صبيحتها يوم القيامة، ويوم يأتيك البشير من الله تعالى، إمّا بالجنة أو النّار، ويوم تُعطى كتابك بيمينك وإمّا بشمالك. [أهوال القبور].

من حكم الشعراء

قال الشاعر:

تنالُ بالرِّفق والتأنّي
ما لم تنلْ بالجَهلِ والتّعنّي

أي: قد تدرك بالرفق والأناة ما لا تدركه بالجهل والجهد.

أحاديث باطلة لها آثار سيئة

رجب شهر عظيم، يضاعف الله فيه الحسنات؛ فمن صام يوماً من رجب؛ فكأنما صام سنة، ومن صام منه سبعة أيام؛ غلقت عنه سبعة أبواب جهنم... كل أحاديث فضل شهر رجب غير صحيحة، والسنّةُ الصحيحة ألا نخصص عبادة معينة لشهر رجب، ومن أراد الصيام أو العبادة فليفعل ولكن لا تكون بسبب شهر رجب.

إعداد: علاء خضر

من دلائل النبوة

وقوع ما يُخبر به المصطفى ﷺ

عن أبي حميد الساعدي قال: غزونا مع النبي صلى الله عليه وسلم غزوة تبوك فلما أتينا تبوك قال: «أما إنها ستهب الليلة ريح شديدة، فلا يقومن أحد، ومن كان معه بعير فليعقله» فعقلناها، وهبت ريح شديدة، فقام رجل، فألقته بجبل طيء. [رواه البخاري]

من فضائل الصحابة

عن أبي جعفر محمد بن علي قال: من لم يعرف فضل أبي بكر وعمر رضي الله عنهما فقد جهل السنة. [فضائل الصحابة الدراقطني].

من أقوال السلف

قال البربهاري: «إذا سمعت الرجل يطعن على الآثار ولا يقبلها أو ينكر شيئًا من أخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم، فاتهمه على الإسلام، فإنه رجل رديء القول والمذهب». [كتاب السنة].

أصناف طلاب العلم

عن وهيب بن الورد قال: بلغنا أن العلماء ثلاثة، فعالم يتعلمه للسلاطين، وعالم يتعلمه لينفذ به عند التجار، وعالم يتعلمه لنفسه (أي ليزيل الجهل عن نفسه وغيره وهذا هو الصحيح)، لا يريد به إلا أنه يخاف أن يعمل بغير علم، فيكون ما يفسد أكثر مما يصلح. [أبو نعيم في حلية الأولياء].

نصيحة عُمر بن عبد العزيز لرئيس مصر القادم

عن عبد العزيز قال: كتب بعض عمال عمر بن عبد العزيز إليه: أما بعد، فإن مدينتنا قد خربت، فإن رأى أمير المؤمنين أن يُقطع لها مالاً يرّمها به (أي يصلحها). فكتب إليه عمر: أما بعد، قد فهمت كتابك، وما ذكرت أن مدينتكم قد خرِبت، فإذا قرأت كتابي هذا فحصّنها بالعدل، ونقِّ طرقها من الظلم، فإنه مرمتها، والسلام». [أبو نَعيم في حلية الأولياء].

دراسات شرعية

أثر السياق في فهم النص

طرق معرفة المقاصد

الحلقة (٣٩)

إعداد/ متولي البراجيلي

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعدُ:

رأينا - في العدد السابق - أن نصوص الشريعة وُضعت لمصالح العباد في الدارين، وأن هذه النصوص إما تعبدية (أي لا تظهر حكمتها للعباد)، وإما معقولة المعنى (حكمتها معلومة)، ورأينا من العلماء كابن القيم يرى أن كل أحكام الشريعة معللة تُدرك حكمتها، والجويني الذي يرى أن ما ليس له معنى ولا مقتضى في الأحكام يندر تصويره، ورأينا من العلماء من أنكر التعليل في الأحكام الشرعية، ونستأنف البحث إن شاء الله تعالى:

ونؤكد ثانية أن الحكم المعقول المعنى، هو ما تُدرك علة تشريعه، وإن كان في العبادات، مثل تحريم الخمر، أو الربا، أو منع القاتل من الميراث ممن قتل.

أما الأحكام التعبدية، فهي التي لا تُعرف عللها، وإن كانت أحكامًا عملية.

كان إبراهيم النخعي يرى أن أحكام الشرع معقولة المعنى، مشتملة على مصالح راجعة إلى الأمة، وأنها بُنيت على أصول محكمة، وعلل ضابطة لتلك الحكم فُهمت من الكتاب والسنة، وشُرعت الأحكام لأجلها لينتظم بها أمر الحياة، فكان يجتهد في معرفتها ليدير الحكم لأجلها حيث دارت، وإن العقل يمكن أن يدركها ويدرك حسنها وقبح ضدها؛ لأن الشرع أرشد إليها، لا أن العقل له استقلال في ذلك، كما يقول المعتزلة. [الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي ١/٣٨٥، لمحمد بن الحسن الفاسي].

ومسألة العقل مع التحسين والتقبيح تحتاج إلى توضيح حتى تُضبَط على الوجه الصحيح.

التحسين والتقبيح بالعقل:

هذا الأمر له جوانب اتفاق وافتراق بين العلماء:

فالعقل يدرك الحسن والقبح فيما هو ملائم للطبع أو مضاد له، فإذا لاءم الغرض الطبع فحسنٌ، كاللذة والحلاوة، وإذا نافره فهو قبيح، كالألم والمرارة، وهذا القدر معلوم بالحس والعقل والشرع، مجمع عليه بين الأولين والآخرين.

فالحسن والقبح صفات ثابتة للأفعال، وهذا الثبوت قد يكون بطريق العقل، وقد يكون بطريق الفطرة، وقد يكون بطريق الشرع، فالعقل والفطرة يحسِّنان ويقبِّحان، ولا يمكن أن يأتي الشرع على خلاف ذلك.

فالكذب مثلاً: قبيح بالعقل والفطرة، ولا يمكن للشرع أن يأمر به.

والزنا - كمثال آخر - قبيح أيضًا بالعقل والفطرة، وكذلك نهى عنه الشرع.

فكل ما أمر به الشرع فهو حسن، وكل ما نهى عنه فهو قبيح.

لكن الفارق بين تحسين وتقبيح العقل والفطرة أن الحكمة فيهما تكون معلومة لدينا، أما ما عُرف حسنه وقبحه بطريق الشرع، فقد تغيب حكمته وعلته عن عقولنا القاصرة، وقد نعلمها، لكن الأمر الذي لا شك فيه أن جميع ما حسَّنه الشرع أو قبَّحه له علة وحكمة يعلمها الله؛ لأن من صفاته سبحانه وتعالى العلم والحكمة.

لكن التحسين والتقبيح العقلي أو الفطري لا

يترتب عليه مدح ولا ذم ولا ثواب ولا عقاب ما لم تأت به الرسل.

فمحل الاتفاق: هو في أن العقل والفطرة يدركان الحسن والقبح.

أما محل الافتراق: فهو في الحسن والقبح المتعلق بالشرع، وحاصل أقوال الناس في هذه المسألة - على سبيل الإجمال - ثلاثة أقوال أساسية:

القول الأول: قول المعتزلة: الذين جعلوا العقل أصلاً، فمجّدوه، وجعلوا ما أدركته عقولهم أصلاً قاطعًا، فالحسن ما حسنته عقولهم، والقبح ما قبحته عقولهم.

وبالتالي أوجبوا على الله تعالى فعل الأصلح، وهو الأمر بما حسنته عقولهم، والنهي عما قبحته، ورتبوا على تحسين العقل المدح والثواب، وعلى تقبيحه الذم والعقاب.

القول الثاني: قول الأشاعرة: الذين نفوا التحسين والتقبيح العقليين.

فهؤلاء خالفوا بداهة العقل والفطرة السليمة، ذلك أنهم قالوا باستواء الأفعال حسنها وقبيحها، ومعلوم أن الشرع موافق للفطرة والعقل.

فمن المحال أن يكون الدم والبول والرجيع مساويًا للخبز والفاكهة ونحوها.

ثم إنهم نفوا عن الله الحكمة والتعليل في أفعاله.

يقول الإيجي: «القبيح ما نهى عنه شرعًا والحسن بخلافه، ولا حكم للعقل في حسن الأشياء وقبحها، وليس ذلك عائدًا إلى أمر حقيقي في العقل يكشف عنه الشرع، بل الشرع هو المثبت له والمبين، ولو عكس القضية، فحسّن ما قبّحه، وقبّح ما حسّنه لم يكن ممتنعًا وانقلب الأمر». [المواقف لعضد الدين الإيجي ٣/٢٦٢].

وكذلك الجويني: «العقل لا يدل على حسن شيء ولا قبحه في حكم التكليف، وإنما تلقى التحسين والتقبيح من موارد الشرع وموجب السمع». [الإرشاد للجويني: ٢٢٨].

ثم إنهم جعلوا انتفاء العذاب قبل بعثة الرسل: «وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا» [الإسراء: ١٥] دليلاً على انتفاء التحسين والتقبيح العقليين واستواء الأفعال في أنفسها. [والآية ليس فيها إنكار للحسن والقبيح بالعقل والفطرة، وإنما الآية تتحدث عن ترتب الثواب والعقاب وإقامة الحجة على ذلك ببعثة الرسل].

القول الثالث: قول أهل السنة: توسطوا بين الفريقين - المعتزلة والأشاعرة - فاثبتوا ما أثبت الله لنفسه من الحكمة والتعليل، ونزهوا الله سبحانه وتعالى عن أن يأمر بالقبائح والنقائص، لكمال حكمته وعلمه وعدله، ولذلك لا يمكن أن يجيء الشرع عندهم بما يخالف العقل والفطرة، وإن جاء بما يعجز العقل عن فهمه وإدراكه، ولذلك أثبت أهل السنة التحسين والتقبيح بالعقل والفطرة، لكن لا يترتب على هذا التحسين والتقبيح مدح ولا ذم، ولا ثواب ولا عقاب؛ لأن ترتيب ذلك مما لا يثبت بالعقل، وإنما يحتاج إلى الوحي في إثباته.

تنبيهات:

١- كثر الخلط بين مذهب أهل السنة ومذهب الأشاعرة في مسألة التحسين والتقبيح العقليين، بل جعل البعض المذهبين مذهبًا واحدًا، وهذا خلط عظيم سببه: اتفاق الفريقين في بعض الجوانب؛ إذ أنهم يتفقون على إثبات:

أ- أن الشرع يحسّن ويقبّح، ويوجب ويحرّم.

ب- وأن الثواب والعقاب والمدح والذم لا يُعرف بالعقل، وإنما يعرف ذلك بالشرع وحده.

لكن هناك جوانب أخرى اختلفوا فيها:

- فأهل السنة يثبتون للعقل دورًا في التحسين والتقبيح بينما ينكر الأشاعرة دور العقل عامة.

- وأهل السنة يثبتون لله الحكمة والتعليل في أفعاله، بينما ينفي الأشاعرة ذلك، وبذلك تبين تباعد الفريقين في هذه المسألة.

٢- يتفق أهل السنة مع المعتزلة في إثبات التحسين والتقبيح العقليين، لكنهم لا يجعلون العقل حاكمًا على النقل، ولا يقولون بترتيب الثواب والعقاب بالعقل، بل ذلك لا يكون إلا بالشرع، وأن الشرع جاء بتقرير ما هو مستقر في الفطر والعقول من تحسين الحسن والأمر به، وتقبيح القبيح والنهي عنه، وأنه لم يجيء بما يخالف العقل والفطرة، ويوافقونهم في إثبات الحكمة والتعليل في أحكام الله تعالى، وأنه سبحانه لا يأمر بشيء خاليًا من الحكمة، بل كل أوامره وأفعاله مقصودة لعواقبها الحميدة وغاياتها المحبوبة.

ومن الجدير بالذكر أن القول بإدراك العقل للمصالح والمفاسد، لا يعني أن إدراكه تام مطلق، بل إنه يدرك ويعجز، ويعيب ويخطئ.

يقول ابن القيم: «بل غاية العقل أن يدرك بالإجمال حسن ما أتى الشرع بتفضيله أو قبحه، فيدركه العقل جملة، ويأتي الشرع بتفصيله، وهذا كما أن العقل يدرك حسن العدل، وأما كون هذا الفعل المعين عدلاً أو ظلمًا، فهذا مما يعجز العقل عن إدراكه في كل فعل وعقد، وكذلك يعجز عن إدراك حسن كل فعل وقبحه.

فتأتي الشرائع بتفصيل ذلك وتبينه، وما أدركه العقل الصريح من ذلك تأتي الشرائع بتقريره، وما كان حسنًا في وقت، قبيحًا في وقت، ولم يهتدِ العقل لوقت حسنه من وقت قبحه، أتت الشرائع بالأمر به في وقت حسنه، وبالنهي عنه في وقت قبحه، وكذلك الفعل يكون مشتملاً على مصلحة ومفسدة، ولا تعلم العقول مفسدته أرجح أو مصلحته؟ فيتوقف العقل في ذلك، فتأتي الشرائع ببيان ذلك، وتأمر براجح المصلحة، وتنهى عن راجح المفسدة، وكذلك الفعل يكون مصلحة لشخص مفسدة لغيره، والعقل لا يدرك ذلك، فتأتي الشرائع ببيانه، فتأمر به من هو مصلحة له، وتنهى عنه من هو مفسدة في حقه، وكذلك الفعل يكون مفسدة في الظاهر، وفي ضمنه مصلحة عظيمة لا يهتدي إليها العقل، فلا تُعلم إلا بالشرع، كالجهاد والقتل في الله، ويكون في الظاهر مصلحة، وفي ضمنه مفسدة عظيمة لا يهتدي إليها العقل، فتجيء الشرائع ببيان ما في ضمنه من المصلحة والمفسدة الراجحة، هذا مع أن ما يعجز العقل عن إدراكه من حُسن الأفعال وقبحها ليس بدون ما تدركه من ذلك، فالحاجة إلى الرسل ضرورية، بل هي فوق كل حاجة، فليس العالم إلى شيء أحوج منهم إلى المرسلين، صلوات الله عليهم أجمعين. [مفتاح السعادة لابن القيم ١١٧/٢، وللمزيد من التفصيل انظر: مفتاح دار السعادة ٢/٢- ١١٨، مدارج السالكين ٢٣٠/١- ٢٥٧، فتاوى ابن تيمية ٩٠/٨، ٩١، ٤٢٨- ٤٣٢، درء تعارض العقل والنقل ٤٩٢/٨- ٤٩٣، شرح الكوكب المنير ٣٠٠/١، ٣٢٢، معالم أصول الفقه ٣٣٢- ٣٤٠].

ما بين الشافعي وأبي حنيفة

سلك الشافعي مسلك التضييق في تعليل الأحكام، حتى ذهب إلى أنه (الأصل في جميع الأحكام التعبد)، بخلاف أبي حنيفة، فإن القاعدة عنده: «الأصل في الأحكام التعليل»، وبنى كل على أصله مسائل في الفقه.

فالشافعي لا يرى غير الماء من السوائل يقوم مقامه في التطهير من النجاسة، لأن الحكم عنده فيه تعبدي، لا يُعقل معناه، بخلاف الحنفية، فعندهم صحة التطهر بكل مانع طاهر يُزيل عين النجاسة؛ لأن العلة في ذلك إزالة النجاسة، وهي حاصلة به. [تيسير علم أصول الفقه للجديع ١٧٥/١]. وسبب الخلاف يعود إلى تحديد ما هو تعبدي، وما هو معقول المعنى، وهذا يجرنا إلى سؤال مهم، وهو:

كيف تعرف الأحكام التعبدية من الأحكام المعقولة المعنى؟

لم يُعرف في تمييز التعبديات عن غيرها من الأحكام المعللة (المعقولة المعنى) وجه معين، غير العجز عن التعليل بطريق من الطرق المعتبرة، على ما هو معلوم في مباحث القياس من علم الأصول.

ولذلك يقول ابن عابدين: ما شرعه الله إن ظهرت لنا حكمته، قلنا: إنه معقول المعنى، وإلا قلنا: إنه تعبدي. [رد المحتار لابن عابدين ٤٤٧/١].

وإلى هذا يشير كلام الغزالي من أن المصير إلى التعبد نوع ضرورة يُرجع إليها عند العجز.

ومن هنا اختلفت أقوال الفقهاء في اعتبار بعض الأحكام تعبديًا أو معقول المعنى، فما يراه بعض الفقهاء تعبديًا قد يراه البعض الآخر معللاً بمصالح غلب على ظنه رعايتها. [الموسوعة الفقهية ٢٠٨/١٢].

الاستثناء من التعليل:

مع أن ابن القيم يعلل كل شيء، والتعليل عنده أصل، وعدم التعليل استثناء، وهو بهذا يوافق - من جهة - الأصل العام في أن الشريعة معللة برعاية المصالح، بغض النظر عن التفريق بين العبادات وغيرها، وهو الأصل الذي اعتبره الشاطبي مسألة مسلمة قطعية، ويعبر عنه المقري بقوله: الأصل في الأحكام المعقولية لا التعبد؛ لأنه أقرب إلى القبول، وأبعد عن الحرج. [قواعد الفقه للمقري القاعدة ٧٢]. فإن بعض التعليلات عند ابن القيم ضعيفة، كما في تعليله للفرق بين بول الصبي وبول الصبية، وكما في تعليله لكون صلاة النهار سرية وصلاة الليل جهرية.

ومع ذلك فإنه اعترف بشيء مما ذهب إليه الشاطبي والغزالي، فقال: «وبالجملة، فللشارع في أحكام العبادات أسرار لا تهتدي العقول إلى إدراكها على وجه التفصيل، وإن أدركتها جملة». [إعلام الموقعين ٦٧/٢].

فلا ينبغي المبالغة في التفتيش عن علل بعض التعبديات، التي لا يتضح فيها وجه العلة. يقول المقري - الذي تقدم عنه أن الأصل في الأحكام المعقولية لا التعبد-:.. فلا ينبغي المبالغة في التنقيب عن الحكم، لا سيما فيما ظاهره التعبد، إذ لا يؤمن فيه من ارتكاب الخطر والوقوع في الخطأ، وحسب الفقيه من ذلك ما كان منصوصًا، أو ظاهرًا، أو قريبًا من الظهور. [قواعد الفقه للمقري القاعدة ١٥٨].

ثم يقدم نموذجًا من هذه المبالغة في تعليل أوقات الصلوات.

الرافضون للتعليل

قال تاج الدين السبكي: «المشتهر عند المتكلمين أن أحكام الله تعالى لا تُعلل، واشتهر عن الفقهاء التعليل». [الإبهاج في شرح المنهاج ٤١/٣].

وقال ابن النجار الحنبلي: وفعله تعالى وأمره، لا لعلة ولا لحكمة، في قول اختاره الكثير من أصحابنا، وبعض المالكية والشافعية، واختاره الظاهرية والأشعرية والجهمية.

والقول الثاني: أنهما لعلة وحكمة، اختاره الطوفي، والشيخ تقي الدين، وابن القيم، وابن قاضي الجبل، وحكاه عن إجماع السلف، وهو مذهب الشيعة والمعتزلة. قال الشيخ تقي الدين: «لأهل السنة في تعليل أفعال الله وأحكامه قولان، والأكثرون على التعليل». [شرح الكوكب المنير ٣١٢/١].

وقد علل الصحابة - رضي الله عنهم - بفطرتهم السليمة، وبتلقائية لا تكلف فيها، ولا معارض لها، وبنوا اجتهاداتهم على ما فهموه من العلل والمقاصد.

وسار على هذا التابعون، ثم الأئمة المتبعون، ثم ابتلي الناس بعلم الكلام، فجاء التعقيد والخلاف والجدل. وقد قام الدكتور محمد مصطفى شلبي بتقصي وجمع كثير من تعليلات السلف واجتهاداتهم المبنية عليها، ثم تطرق إلى ما ظهر من خلاف في المسألة؛ حيث قال: وما كنت بحاجة إلى هذا البحث بعدما تقدم من عرض نصوص التعليل في القرآن والسنة، ومسلك الصحابة والتابعين وتابعيهم فيه، غير متخالفين، ولا متنازعين، وفيه الحجة القاطعة على أن أحكام الله معللة بمصالح العباد، وقد وجد إجماع أو شبه إجماع على هذه الدعوى قبل أن يولد المتخاصمون فيها. [تعليل الأحكام: د. مصطفى شلبي ص٩٦ نقلاً عن نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي ٢٠٣/١].

وقد جزم غير واحد من العلماء بانعقاد الإجماع، ومن هؤلاء الآمدي الشافعي؛ حيث نص على أنه لا يجوز القول بوجود حكم لا لعلة، فقال: «إذ هو خلاف إجماع الفقهاء على أن الحكم لا يخلو من علة». [الإحكام في أصول الأحكام للآمدي ٢٦٤/٣].

ثم أكد ذلك في موضع آخر، فقال: أئمة الفقه مجمعة على أن أحكام الله تعالى لا تخلو من حكمة ومقصود. [السابق: ٢٨٥/٣].

وقال ابن الحاجب: «فإن الأحكام شُرعت لمصالح العباد، بدليل إجماع الأئمة». [منتهى الوصول: ١٨٤]. ونقل المقري عن أشهب: «إن القائسين مجمعون على التعليل، وإن اختلفوا في عين العلة». [قواعد الفقه القاعدة: ٨٦٤]. وقال الشاطبي: «والإجماع على أن الشارع يقصد بالتكليف المصالح على الجملة». [الموافقات: ٢١٨/٢].

ويقول أيضًا: «إن الشارع وضع الشريعة على اعتبار المصالح باتفاق». [السابق: ٢٢١/١].

وقد انتقد العلامة شاه ولي الله الدهلوي منكري التعليل وأنكر عليهم ظنهم أن الشريعة ليست سوى اختبار وتعبد لا اهتمام لها بشيء من المصالح، ثم قال: «وهذا ظن فاسد تكذبه السنة وإجماع القرون المشهود لها بالخير». [حجة الله البالغة للدهلوي ٦/١].

المتكلمون الأشاعرة وإنكار التعليل:

قال المتكلمون بعدم جواز التعليل، وقالوا: لا يجوز أن تُعلل أفعال الله تعالى؛ لأن هذا يوهم نقصًا في حق الله تعالى. [انظر الإبهاج لابن السبكي ١٤١/١].

وقد رد على هؤلاء المتكلمين غير واحد من العلماء، كابن الهمام الحنفي الأصولي: بأن ما يقال فيما أنعم الله به على عباده، يقال فيما شرع لهم من أحكامه، فإذا كان سبحانه قد أسبغ علينا نعمه من خلق وتقويم وصحة ورزق، لمصلحتنا، فكذلك شرع أحكامه لمصلحتنا، فما يقال هنا يقال هناك ولا فرق.

ورد عليهم القاضي عبيد الله بن مسعود المعروف بصدر الشريعة، فقال: «وما أبعد عن الحق قول من قال: إنها غير معللة، فإن بعثة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام لاهتداء الخلق، وإظهار المعجزات لتصديقهم، فمن أنكر التعليل فقد أنكر النبوة، وقوله تعالى: « وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنْسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ » [الذاريات: ٥٦]، وقوله تعالى: « وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ » [البينة: ٥]، وأمثال ذلك كثيرة في القرآن، ودالة على ما قلنا، وأيضًا لو لم يفعل لغرض أصلاً يلزم العبث. [التوضيح في حل غوامض التنقيح ٦٣/٢، نظرية المقاصد ٢٠٦/١].

الإمام الرازي والتعليل:

خص الشاطبي الإمام الرازي بأنه وحده المنكر للتعليل إنكارًا باتًا، والرازي أحد أبرز الأصوليين وكتابه «المحصول» اعتمد عليه الكثير ممن بعده في مؤلفاتهم الأصولية. يقول الشاطبي: وزعم الرازي أن أحكام الله ليست معللة بعلة ألبتة، كما أن أفعاله كذلك. [الموافقات: ٩/٢- ١٠].

ثم يقول: «والمعتمد إنما هو أنا استقرينا من الشريعة أنها وُضعت لمصالح العباد، استقراءً لا ينازع فيه الرازي ولا غيره». [السابق ١٢/٢].

فالشاطبي لم يسمِّ من المنكرين للتعليل أحدًا غير الرازي، وجعل إنكاره للتعليل إنكارًا باتًا، وشاملاً لأفعال الله وأحكامه.

مع أن الرازي لم يكن وحده من الأشاعرة الذين أنكروا التعليل، لكن هل هو أنكر التعليل الأصولي - تعليل الأحكام - أم هو أنكر التعليل الفلسفي الذي يقول به الفلاسفة والمعتزلة؟ [نظرية المقاصد بتصرف ٢٠٩/١].

وللحديث بقية، والحمد لله رب العالمين.

القصة في كتاب الله

أصحاب الجنة

«إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ» [القلم: ١٧].

✍ إعداد/ عبد الرزاق السيد عيد



الحمد لله الكبير المتعال، والصلاة والسلام على كريم الخصال محمد بن عبد الله النبي المختار، وعلى آله وصحبه السادة الأخيار، أما بعدُ:

فنحن اليوم مع صورة محسوسة ومَثَل مضروب يوضح حقيقة الأمور ويكشف زيف الباطل حين يلتبس على كثير من الناس فيظنونه حقًا وإذا هم بسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماءً حتى إذا جاءه لم يجده شيئًا ووجد الله عنده فوفاه حسابه.

نحن اليوم مع قصة أصحاب الجنة التي ضربها الله مثلاً لأهل مكة في أول عهدهم بالوحي والنبوة، وسنعرض لها بعون الله ومدده في الخطوات التالية:

أولاً: الآيات الكريمة التي عرضت للقصة:

قال الله تعالى في سورة القلم: «إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ (١٧) وَلَا يَسْتَثْنُونَ (١٨) فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ (١٩) فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ (٢٠) فَتَنَادَوْا مُصْبِحِينَ (٢١) أَنِ اغْدُوا عَلَىٰ حَرْثِكُمْ إِن كُنتُمْ صَارِمِينَ (٢٢) فَانطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخَافَتُونَ (٢٣) أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ (٢٤) وَغَدَوْا عَلَىٰ حَرْدٍ قَادِرِينَ (٢٥) فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَضَالُّونَ (٢٦) بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ (٢٧) قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ (٢٨) قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ (٢٩) فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلَاوَمُونَ (٣٠) قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا طَاغِينَ (٣١) عَسَىٰ رَبُّنَا أَن يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَا إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا رَاغِبُونَ» [القلم: ١٧- ٣٢].

ثانيًا: عرض إجمالي لمعاني الآيات السابقة:

١- «إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ» [القلم: ١٧] أي: اختبرناهم وامتحناهم، والضمير يعود على أهل مكة الكفار؛ حيث أصابهم الجوع والخوف والقتل في بدر بسبب إعراضهم عن الحق.

٢- «كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ» [القلم: ١٧] الآتي خبرهم.

٣- «إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ (١٧) وَلَا يَسْتَثْنُونَ» حين بيتوا النية وتعاهدوا فيما بينهم على القيام بقطع ثمار حديقتهم في الصباح الباكر بعيدًا عن أعين الفقراء، ولا يبقون لهم شيئًا من ثمرها.

٤- «فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ (١٩) فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ» [القلم: ١٩- ٢٠]، فكان الجزاء من

جنس العمل، وكان عاقبة تدبيرهم لحرمان الفقراء أن حرمهم الله من ثمار جنتهم «حديقتهم»، وأرسل عليها ليلاً نارًا التهمت ثمارها فلم تبق منه شيئًا، فأصبح الذي يراها في الصباح كأنها حُصدت بالأمس.

٥- « فَتَنَادَوْا مُصْبِحِينَ » [القلم: ٢١] قام الأبناء الإخوة في الصباح الباكر ينادي بعضهم بعضا.

٦- « أَنِ اغْدُوا عَلَى حَرْثِكُمْ إِن كُنتُمْ صَارِمِينَ» [القلم: ٢٢] هيا انطلقوا إلى حديقتكم وتفقدوا ما أنفقنا إن كنتم صادقين عليه من الحصاد وحرمان الفقراء.

٧- « فَانطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخَافَتُونَ ﴿٢٣﴾ أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ » [القلم: ٢٣- ٢٤].

٨- « وَغَدَوْا عَلَىٰ حَرْدٍ قَادِرِينَ » [القلم: ٢٥]. وخرجوا في الصباح الباكر وهم مصممون على منع الفقراء حقهم، وهنا نكتة بلاغية من نكت الإعجاز القرآني في اختيار الألفاظ، أشار إليها الشيخ ابن عاشور - رحمه الله - في تحريره: «وفي إيثار كلمة «حرد» في الآية نكتة من نكت الإعجاز المتعلق بشرف اللفظ ورشاقته». والشيخ رحمه الله أصاب كبد الحقيقة فكلمة (حرد) هنا تعني المنع وتعني السرعة وتعني الغضب، وكل هذا مقصود عبر عنه القرآن بلفظ واحد، فأصحاب الجنة خرجوا يريدون منع الفقراء، ولذلك أسرعوا الخطى والفعل، وهذا جعلهم في حالة من الغضب والحمق، فهذه الأوصاف كلها اجتمعت في كلمة واحدة، فسبحان من هذا كلامه.

٩- « فَلَمَّا رَأَوْهَا » [القلم: ٢٦]، وهنا كانت المفاجأة التي لم يتوقعها أصحاب الحديقة، فهذه حديقتهم خالية من أي ثمر، أشجارها كأنها أصابها نار فاحترقت، فأصابهم هول شديد لدرجة أنهم ظنوا أنهم ضلوا الطريق، وأن هذه ليست حديقتهم التي يعرفونها، ووقفوا في حيرة من أمرهم، قال بعضهم: «إنا لضالون» أي: ضللنا الطريق إلى حديقتنا التي نعرفها، أين ثمارها اليانعة، وفروعها الباسقة، وخضرتها الممتعة، أين.. أين.. وقال البعض الآخر ولعلهم الأكثر عقلاً: لا، « بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ » [القلم: ٢٧]، الحقيقة أن الله عاقبنا على سوء نيتنا وعلى حزمنا على حرمان الفقراء فعاقبنا ربنا بالحرمان.

١٠- « قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ» [القلم: ٢٨]: في هذا الموقف الصعب صارت النفوس مهيأة لسماع صوت الحق والاستجابة للنصيحة، فذكرهم أكثرهم عدلاً واستقامة: ألم أحذركم مما عزمتم عليه وقلت لكم: توبوا إلى الله من هذا التصميم السيئ والإرادة السيئة، وهنا أيضًا نكتة في اختيار (تسبحون) بدلاً من (تستغفرون) أو (تتوبون)؛ لأن التسبيح يشمل التوبة والاستغفار، كما يشتمل كذلك على ذكر الله وتعظيمه وتنزيهه والثناء عليه بما هو له أهل، ويشمل تعظيم أوامره ونواهيه.

١١- وهنا عادوا إلى الله جميعًا وتذكروا أخطاءهم وأعلنوا توبتهم وقالوا: « قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ» [القلم: ٢٩]. وهنا قال كثير من أهل العلم: إنهم كما تابوا ورجعوا إلى الله صادقين ردّ الله عليهم حديقتهم على أحسن ما كانت.

ثالثا: بداية القصة:

هذا الذي ذكره القرآن الكريم في نهاية القصة أو عاقبة المكر السيئ، فهل لهذه القصة بداية؟

نستطيع والعلم عند الله أن نربط بين هذه الآيات وما ورد في صحيح مسلم عن قصة صاحب البستان الذي توجهت إليه السحابة بأمر الله؛ حيث روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: « بينا رجل بفلاة من الأرض، فسمع صوتًا في سحابة: اسق حديقة فلان، فتنحى ذلك السحاب، فأفرغ ماءه في حرة، فإذا شرجة من تلك الشراج قد استوعبت ذلك الماء كله، فتتبع الماء، فإذا رجل قائم في حديقته يحول الماء بمسحاته، فقال له: يا عبد الله ما اسمك؟ قال: فلان - للاسم الذي سمع في السحابة - فقال له: يا عبد الله لم تسألني عن اسمي؟ فقال: إني سمعت صوتًا في السحاب الذي هذا ماؤه يقول: اسق حديقة

فلان، لاسمك، فما تصنع فيها؟ قال: أما إذ قلت هذا، فإني أنظر إلى ما يخرج منها، فأتصدق بثلثه، وآكل أنا وعيالي ثلثه، وأرد فيها ثلثه» رواه مسلم.

ذكر عن جمع من أهل التفسير أن صاحب هذا البستان هو والد هؤلاء الأبناء الذين ورثوا الحديقة من بعد أبيهم، واعترضوا على مسلكه فيها، وبخلوا بحق الفقراء، فأصابهم ما أصابهم كما علمنا من سياق القصة في القرآن الكريم.

رابعًا: صلة القصة بأهل مكة المكذبين:

١- قال ابن كثير رحمه الله: «هذا مثل ضربه الله لأهل مكة من كفار قريش فيما أهدي إليهم من الرحمة العظيمة، وأعطاهم من النعمة الجسيمة، وهو بعثة محمد صلى الله عليه وسلم إليهم؛ فقابلوه بالتكذيب، والرد والمحاربة، ولهذا قال تعالى: « إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ » [القلم: ١٧]. اهـ. مختصرًا.

٢- وقال بعض أهل العلم في قوله تعالى: « إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ » [القلم: ١٧] يفيد أن مشركي مكة سوف يعترضون على الإسلام أولاً ثم يعرفون الحق، ويدخلون فيه وينصرونه، وذلك ما وقع! فإن ملاك الحديقة المذكورة شحوا بحق الفقراء فيها، فأهلك الله ثمرها، فلما ندموا على رذيلتهم قبل الله توبتهم، ومن يرغب إلى الله يتب عليه ويلقه بقبول حسن، وقد أعز الله قريشًا بالإسلام بعدما أهانت نفسها بالكفر، أما المصرون على زيفهم فلا مستقبل لهم.

خامسًا: من فوائد القصة:

٨- الجزاء من جنس العمل، فلما كان صاحب البستان مستقيمًا يعرف حق الله في ماله بارك الله له في ثمره وحصاده، وتولى سقيا بستانه، ولما بخل الأبناء وقالوا كما يقول البخلاء: المال قليل والعيال كثير فلا نستطيع أن نفعل كما كان يفعل أبونا، وبعضهم قد يتهم الأب بالجنون؛ لأنه يوزع جزءًا من ماله على الفقراء، فكان عقابهم الحرمان.

٢- إن هذا الكون ملك لله، فالله خالقه والمتصرف فيه، وله جنود السماوات والأرض والريح من جنوده والسحاب من جنده، والمطر من جنده، وكذا البحار والأنهار، والشمس والقمر والزرع والشجر.

٣- قد يبدو للناظرين إلى ظواهر الأمور أصحاب النظرة المادية المحدودة أن الخير المبذول للفقراء والعطف على المساكين نوع من تبديد الثروات، وتضييع المدخرات، وسبب في نقص رءوس الأموال، وذهلوا عن حقيقة كونه سببًا للبركة وسعة الأرزاق.

٤- فضل الإنفاق في سبيل الله وأن الله سبحانه وتعالى هو الذي يتولى مكافأة المنفقين، قال الله تعالى: « قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ وَمَا أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ » [سبأ: ٣٩].

فالمال في الحقيقة مال الله، وهو الذي يعطي ويمنع فيعطي منفقًا خلفًا، ويعطي ممسكًا تلفًا، والشكر قيد النعمة وسبب زيادتها: « لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ » [إبراهيم: ٧].

٥- صلاح الآباء ينفع الأبناء وإن انحرفوا قليلاً، فإنهم سريعًا ما يعودون.

٦- للعمل والإنتاج قيمة عظيمة في بناء الأمم مع صدق التوكل على الله والأخذ بالأسباب التي شرعها الله.

٧- الزراعة مصدر مهم من مصادر الدخل وسبيل لإطعام الناس جميعًا فقراء وأغنياء.

٨- القرآن الكريم أصدق وأصح كتاب وصل الأرض بالسماء واختار الله لتبليغه أفضل أنبيائه ورسله وأشرفهم نسبًا وأكرمهم خلقًا، أما أعداء الوحي في كل زمان ومكان فهم نفر من الناس لا يزينهم شيء ولا وزن لهم، وقد ذهبوا بددًا وبقي الإسلام شامخًا فيما مضى، وسيقع مستقبلاً ما حدث في الماضي، لكن هذا مرهون بثبات أهل الحق عليه، ومدى صدقهم مع الله.

اللهم يا مقلب القلوب ثبت قلوبنا على دينك.

والحمد لله رب العالمين.

وقفات شرعية مع تطبيق الشريعة الإسلامية

الشبهات المثارة حول أحاديث الرجم

الحلقة العاشرة

إعداد/ المستشار أحمد السيد علي

الحمد لله حمد الشاكرين، وأصلي وأسلم على النبي المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله وأصحابه الغر الميامين، أما بعد:

فما يزال الحديث موصولاً عن الرد على الشبهات المثارة على أحاديث الرجم، ونستعرض في هذا المقال - إن شاء الله - بعض الشبهات، فنقول وبالله تعالى التوفيق:

الشبهات المتعلقة بالحديث الثاني:

- عن بريدة بن الحصيب أن ماعز بن مالك الأسلمي أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله! إني قد ظلمت نفسي وزنيت، وإني أريد أن تطهرني. فرده. فلما كان من الغد أتاه، فقال: يا رسول الله! إني قد زنيت. فرده الثانية. فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى قومه، فقال: «أتعلمون بعقله بأسًا؟ تنكرون منه شيئًا؟ فقالوا: ما نعلمه إلا وفيّ العقل، من صالحينا فيما نرى. فأتاه الثالثة. فأرسل إليهم أيضًا فسأل عنه فأخبروه: أنه لا بأس به ولا بعقله. فلما كان الرابعة حفر له حفرة، ثم أمر به فرُجم.

قال: فجاءت الغامدية، فقالت: يا رسول الله! إني قد زنيت فطهرني. وإنه ردَّها. فلما كان الغد قالت: يا رسول الله! لمَ تردني؟ لعلك أن تردني كما رددت ماعزًا. فوالله! إني لحبلى. قال: «فاذهبي حتى تلدي»، فلما ولدت أتته بالصبي في خرقة. قالت: هذا قد ولدته. قال: «اذهبي فأرضعيه حتى تفطميه».

فلما فطمته أتته بالصبي في يده كسرة خبز. فقالت: هذا، يا نبي الله! قد فطمته وقد أكل الطعام. فدفع الصبي إلى رجل من المسلمين. ثم أمر بها فحُفر لها إلى صدرها. وأمر الناس فرجموها.

فأقبل خالد بن الوليد رضي الله عنه بحجر، فرمى رأسها. فتنضح الدم على وجه خالد؛ فسبَّها، فسمع نبي الله صلى الله عليه وسلم سبَّه إياها. فقال: «مهلا! يا خالد! فوالذي نفسي بيده! لقد تابت توبة، لو تابها صاحب مكس لغفر له». ثم أمر بها فصلي عليها ودُفنت» (رواه مسلم).

الشبهات:

الشبهة الأولى: قالوا: يستند القائلون بالرجم على بعض الأحاديث والروايات المتناقضة، منها حديث لشخص أسطورة اسمه ماعز الأسلمي.

الرد عليها:

لا بد أن نتعرض لتعريف الأسطورة لغةً واصطلاحًا، حتى نعرف هل قصة ماعز تندرج تحتها أم لا؟!

الأسطورة لغة: مفرد الأساطير، وهي الأباطيل والأحاديث العجيبة.

واصطلاحًا: هي حكايات غريبة خارقة ظهرت في العصور الموغلة في القدم، وتناقلتها الذاكرة البشرية عبر الأجيال، وفيها تظهر آلهة الوثنيين وقوى الطبيعة بمظهر بشري.

وكان القصد من هذه الحكايات تفسير الظواهر الطبيعية أو العقائد الدينية أو الأحداث التاريخية الموغلة في التاريخ القديم.

وقد كانت للعرب في جاهليتهم - مثل كل الأمم الوثنية - أساطيرهم وخرافاتهم، ومنها ما كانوا يقولونه عن سهيل، والشعرى، والقميصاء، والغيلان، والسعالي، وعزيف الجن، والهامة، والصدى، والنسر لُبَد، وزرقاء اليمامة... إلخ.

أما قصة ماعز فقد وردت في العديد من كتب السنة، فوردت في البخاري ومسلم وأبي داود والترمذي وابن ماجه بأسانيد صحيحة، وليست باطلة، ولم تشتمل القصة على شيء غريب أو خارق، ومن ثم فلا يمكن أن نعتبر ماعزًا شخصية أسطورية بالمفهوم العلمي لتعريف الأسطورة، كما سبق بيانه.

الشبهة الثانية:

قالوا: ورد في رواية البخاري لفظ يخدش الحياء، والنبي صلى الله عليه وسلم لا يمكن أن يقول هذا القول الفاحش؛ لأنه عليه الصلاة والسلام ما كان سبابًا ولا فاحشًا، فهل اللغة العربية فقيرة في مصطلحاتها حتى يقول الرسول ذو الخلق هذا اللفظ؟! أما إذا كنتم تعتقدون بأن الرسول الكريم قد قال ذلك - وحاشاه

- فلماذا لا تذكرون هذا اللفظ في الكتب المدرسية من دون مقص الرقيب، ولماذا لا تعلنونه عبر المآذن وخطب الجمعة بصيغته الأصلية؟

الرد عليها:

أولاً: نقول لهؤلاء المُعترضين المُتكلمين: هل عندما لفظ الرسول عليه الصلاة والسلام بهذا اللفظ احمرّ وجه ماعز خجلاً، وكذلك من حضر ذلك الموقف، وقالوا: ما هذا الكلام الذي تقوله يا رسول الله؟!

وإن كان هذا اللفظ يُعتبر من فحش القول، لماذا لم يُحاجّ به أعداء الإسلام من مُشركي العرب -وهم أهل البيان والبلاغة واللسان- المسلمين، وأخذوا يشنعوا أن الرسول صلى الله عليه وسلم يتلفظ بالبذيء من القول؟ هذا يرجع إلى سبب؛ هو أن ذلك التعبير كان شائعًا في كلام العرب منتشراً بينهم وفي أمثالهم أيضًا..

ثانيا: قال النووي في شرح صحيح مسلم: «وقد يستعملون صريح الاسم لمصلحة راجحة، وهي إزالة اللبس أو الاشتراك، أو نفي المجاز أو نحو ذلك». اهـ.

فما قاله النبي صلى الله عليه وسلم لماعز يدل على أنه يجوز التصريح بلفظ الجماع - المستقبح عند الناس- والمتعارف عليه بينهم، عند القاضي لاستجلاء الحقيقة، ولا يعد هذا من فحش القول، وقد قرر قانون الإجـراءات الجنائية المصري هذا الحق، فنصت المادة ٢٦٨ على أنه: «يجب أن تكون الجلسة علنية، ويجوز للمحكمة مع ذلك -مراعاةً للنظام العام أو المحافظة على الآداب- أن تأمر بسماع الدعوى كلها أو بعضها في جلسة سرية، أو تمنع فئات معينة من الحضور فيها».

مـفـاد مـا سبق أن الـقـانـون قـد أجـاز للقاضي أن يجعل الجلسة سرية إذا كان ما سيدور بها من أقـوال أو أفـعـال لاستـجـلاء الحقيقة يمسّ النظام العام والآداب، وقد بينت محكمة النقض المصرية المقصود بما ورد بهذه المادة بقولها: «عبارات الآداب العمومية والحياء المذكورتان (في المادة ٢٣٥ عقوبات) كاسباب لجعل الجلسة سرية ليستا مترادفتين، فبينما نجد كلمة الحياء قد صار لها معنى خاصٌ بها قاصرٌ بوجه ما على الآداب الخاصة بالأعمال واللذات الجسمانية نجد العكس بالنسبة لعبارة الآداب العمومية، خصوصاً إذا تعارضت مع كلمة الحياء، فإنها تشمل بدون شك كل ما من شأنه حفظ كرامة الشعب، والمساعدة على حسن سلوكه، ورقي أخلاقه، وعلى ذلك فـالآداب العمومية تتضمن حتماً النظام العام الذي هو العلاقة الظاهرة على وجودها كما أنها تشمل أموراً أخرى غير ذلك» (نقض جلسة ١١ /٦ /١٩١٠م المجموعة الرسمية ص١١ ق ١٠٧).

كما قضت بأن «قَرْص امرأة في فخذها يعتبر جناية هتك عرض؛ لوقوعه على ما يُعد عورة من جسم المجني عليها. وللمحكمة نظر هذه الجريمة بجلسة سرية؛ محافظة على الآداب» (نقض جلسة ١٧/ ١٩٣٠/٤م مجموعة القواعد القانونية ق ٣١ ص ٢٦).

ففي القضاء المصري يقوم القاضي بسؤال المجني عليها في جريمة الاغتصاب أو هتك العرض أو الزاني أو الزانية في جريمة الاعتياد على ممارسة الفجور، أو المدعية في بعض مسائل الأحوال الشخصية عن أدق تفاصيل الجريمة، أو الدعوى، وباللفظ الصريح حتى يتيقن من وقوع الفعل ونسبته للفاعل، ولم يقل واحد من الناس العقلاء: إن سؤال القاضي عن مثل هذه الأمور وباللفظ الصريح، خادش للحياء مذهب للمروءة!! وحتى لا يقول هؤلاء: إن النبي صلى الله عليه وسلم قد قال ذلك اللفظ علانية - وإلا لما ذكره البخاري في صحيحه ووصل إلينا -والنص السابق قد تحدث عن السرية، نقول له: إن القانون المصري أجاز هذا أيضًا للقاضي، فله جعل الجلسة سرية حفاظًا على الآداب العامة، فإن جعلها علانية فلا شيء عليه، وهذا ما قررته محكمة النقض بقولها: «بما أن للمحكمة الحق المطلق في أن تأمر بجعل الجلسة سرية لسماع المرافعة كلها أو بعضها، فليست علنية الجلسة في مسائل الفسق وجهاً من أوجه النقض إذا كانت المحكمة لم تأمر بجعل الجلسة سرية». (نقض جلسة ١٤/ ١١ /١٩٠٣م المجموعة الرسمية س٥ ق٥١).

فإذا أغفل القاضي طرح هذه الأسئلة سرًا أو جهرًا، وكان طرحها منتجًا في الدعوى للوصول إلى الحق، كان حكمه معيبًا، خليقًا بالطعن عليه.

فلماذا ينكر هؤلاء الرويبضة لفظة البخاري التي قالها النبي صلى الله عليه وسلم لماعز، ولا ينكرون ما يقوله القضاة؟!! بل إن ما قاله النبي صلى الله عليه وسلم لماعز كان في مقام التشريع؛ ليعلّم أمته جواز التصريح بذلك للقاضي لاستجلاء الحقيقة.

ثالثا: أما عدم ذكر مثل هذه الكلمات في الكتب المدرسية من دون مقص الرقيب، ولماذا لا نعلنه عبر المآذن وخطب الجمعة بصيغته الأصلية، فمردود عليه بما سبق وذكرناه من أن هذا اللفظ يذكره القاضي لاستجلاء الحقيقة، ولا يجوز ذكره على الملأ لسببين:

الأول: عن أبي الطفيل عمرو بن واثلة الكناني قال: قال عليّ: «حدثوا الناس بما يعرفون، أتحبون أن يُكَذَّب الله ورسوله» (رواه البخاري) وعن عَبْد اللَّهِ بْنِ مَسْعُود، قَالَ: «مَا أَنْتَ بِمُحَدِّثٍ قَوْمًا حَدِيثًا، لاَ تَبْلُغُهُ عُقُولُهُمْ، إِلاَّ كَانَ لِبَعْضِهِمْ فِتْنَةً». (رواه مسلم)، وهو ما وقعتم فيه بجهلكم وقلة علمكم، فقد

كَذَّبْتُم الرسول صلى الله عليه وسلم وأنكرتم عليه ما قال؛ لأن عقولكم السفيهة لم تبلغ ذلك ولم تعرف العلة من ورائه.

الثاني: القاعدة أن الضرورة تقدر بقدرها، والحاجة تنزل منزلة الضرورة، ولذلك لا يجوز ذكر ذلك على المنابر وفي الكتب المدرسية وإلا جاوزنا نطاق الحاجة، وإنما يذكر ذلك لطلبة العلم الشرعي، ولمن طلب الدليل على جواز فعل القاضي لذلك.

ويرد على قولهم الأخرق بالسؤال الآتي: إذا كان يجوز للمريض أو المريضة كشف عورتهما أمام الطبيب المعالج - إذا دعت الضرورة لذلك - ولا يعد هذا من الفحش، فهل يجوز لهما أن يكشفاها أمام جميع الناس بنفس منطقكم المعوج؟!

الشبهة الثالثة:

قالوا: «ولكن فلنأخذ من الحديث دليلاً على منهجية الإسناد لدى تلك المدرسة التقليدية، فالبخاري يكتب أنه سمع شفهيًا ذلك الحديث من عبد الله بن محمد الجعفي الذي كان يعيش في عصر البخاري، وأن ذلك الجعفي كان قد سمع ذلك الحديث من وهيب بن جرير وهو من الجيل السابق على جيل البخاري، ثم إن وهيب بن جرير قد سمع ذلك الحديث شفهيًا من أبيه جرير الذي عاش في أواخر العصر الأموي مثلاً، وأبوه جرير يزعمون أنه سمع ذلك الحديث شفهيًا من عكرمة مولى ابن عباس، ويزعمون أن عكرمة سمعه من سيده ابن عباس، وابن عباس بزعمهم في هذه الرواية يقول: إنه شاهد وسمع هذه الواقعة وهو بجانب النبي عليه الصلاة والسلام، ومن المعلوم أن ابن عباس لم ير النبي ولم يسلم إلا بعد فتح مكة، وبعدها رجع مع أبيه إلى مكة ورجع النبي إلى المدينة حيث توفي، ولذلك يقول ابن قيم الجوزية في كتابه الوابل الصيب ص ٧٧: «وهذا عبد الله بن عباس مقدار ما سمع من النبي لم يبلغ العشرين حديثًا»، وبغض النظر عن آلاف الروايات المنسوبة لابن عباس في كتب الحديث، فإن الإسناد الشفهي عبر رواة مختلفين في الزمان والمكان والظروف لا يستقيم مع المنهج العلمي؛ إذ كيف نصدق رواية واحدة تنتقل بدون تحريف أو نسيان عبر عشرات السنين وعبر عدة أجيال كل منهم يلقيها للآخر شفويًا.

ثم كيف نصدق عشرات ومئات الألوف من الروايات المتضاربة والمتناقضة والمنسوبة إلى النبي بعد موته بقرون. وعبر أشخاص موتى لم يعلموا بما أسنده إليهم اللاحقون من روايات».

الرد عليها:

أولا: قولهم: «إن ابن عباس لم ير النبي ولم يسلم إلا بعد فتح مكة» من التدليس؛ وذلك لما ذكره ابن كثير في البداية والنهاية؛ حيث قال: «قال مسلم بن خالد الزنجي المكي ، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، عن ابن عباس قال: لما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم في الشعْب جاء أبي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: يا محمد أرى أم الفضل قد اشتملت على حمل، فقال: «لعل الله أن يقر أعينكم»، قال: فأتى بي رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأنا في خرقة فحنكني بريقه. قال مجاهد: فلا نعلم أحدًا حنكه رسول الله صلى الله عليه وسلم بريقه غيره. وفي رواية أخرى: فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لعل الله أن يبيض وجوهنا بغلام» فولدت عبد الله بن عباس ، وعن عمرو بن دينار قال: ولد ابن عباس عام الهجرة». اهـ.

ومما يؤيد أن ابن عباس أسلم قبل فتح مكة ما ورد عن عبد الله بن أبي مليكة أن ابن عباس تلا: «إلا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان». قال: كنت أنا وأمي ممن عذر الله». (رواه البخاري).

فلا يمكن أن يقول ابن عباس هذا القول وهو غير مسلم؛ لأن كفار قريش لم يكونوا مخاطبين بهذه الآية.

ثانيا: قولهم: «وبعدها رجع مع أبيه إلى مكة ورجع النبي إلى المدينة حيث توفي» مردود عليه بقول ابن كثير في البداية والنهاية: «وهاجر مع أبيه قبل الفتح، فاتفق لقياهما النبي صلى الله عليه وسلم بالجحفة وهو ذاهب لفتح مكة، فشهد الفتح وحنينًا والطائف عام ثمان، وقيل: كان في سنة تسع، وحجة الوداع سنة عشر. وصحب النبي صلى الله عليه وسلم من حينئذ ولزمه وأخذ عنه وحفظ، وضبط الأقوال والأفعال والأحوال، وأخذ عن الصحابة علمًا عظيمًا مع الفهم الثاقب والبلاغة والفصاحة والجمال والملاحة والأصالة والبيان، ودعا له رسول الرحمن صلى الله عليه وسلم، وذلك كما وردت به الأحاديث الثابتة الأركان أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا له بأن يعلمه الله التأويل، وأن يفقهه في الدين». اهـ.

ثالثا: قولهم «ولذلك يقول ابن القيم: مردود عليه بأنهم اجتزءوا الكلام من سياقه لخدمة مذهبهم الفاسد، وكلام ابن القيم حجة عليهم، فقد قال رحمه الله في الوابل الصيب: «فجعل النبي صلى الله عليه وسلم الناس بالنسبة إلى الهدى والعلم ثلاث طبقات: الطبقة الأولى: ورثة الرسل وخلفاء الأنبياء . عليهم الصلاة والسلام . وهم الذين قاموا بالدين علمًا وعملاً، ودعوة إلى الله عز وجل ورسوله. فهؤلاء أتباع الرسل صلوات الله

عليهم وسلامه حقًا، وهم بمنزلة الطائفة الطيبة من الأرض التي زكت، فقبلت الماء، فأنبتت الكلأ والعشب الكثير، فزكت في نفسها، وزكا النّاس بها، وهؤلاء هم الذين جمعوا بين البصيرة في الدين، والقوة على الدعوة ؛ ولذلك كانوا ورثة الأنبياء الذين قال الله تعالى فيهم: « وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ » [ص: ٤٥] أي البصائر في دين الله عز وجل، فبالبصائر يُدرك الحق ويعرف، وبالقوى يُتمكن من تبليغه وتنفيذه والدعوة إليه.

فهذه الطبقة كان لها قوة الحفظ والفهم في الدين، والبصر بالتأويل، ففجرت من النصوص أنهار العلوم، واستنبطت منها كنوزها، ورُزقت فيها فهمًا خاصًا.

كما قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب . رضي الله عنه . وقد سُئل: هل خصكم رسول الله صلى الله عليه وسلم بشيء دون الناس؟ فقال: «لا - والذي فلق الحبة وبرأ النسمة - إلا فهمًا يؤتيه الله عبدًا في كتابه».

فهذا الفهم هو بمنزلة الكلأ والعشب الكثير الذي أنبتته الأرض، وهو الذي تميزت به هذه الطبقة عن الطبقة الثانية، فإنّها حفظت النصوص، وكان همها حفظها وضبطها، فوردها الناس، وتلقوها منهم، فاستنبطوا منها، واستخرجوا كنوزها، واتجروا فيها، وبذروها في أرض قابلة للزرع والنبات، ووردها كل بحسبه «قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ» [البقرة /٦٠] وهؤلاء هم الذين قال فيهم النبي: «نَضَّرَ اللَّهُ امْرَأً سَمِعَ مِنَّا حَدِيثًا فَحَفِظَهُ حَتَّى يُبَلِّغَهُ غَيْرَهُ فَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ، وَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ لَيْسَ بِفَقِيهٍ». [أبو داود وصححه الألباني]، وهذا عبد الله بن عباس حبر الأمة وترجمان القرآن، مقدار ما سمع من النبي لم يبلغ نحو العشرين حديثًا، الذي يقول فيه «سمعت» و«رأيت»، وسمع الكثير من الصحابة، وبُورك في فهمه، والاستنباط منه حتى ملأ الدنيا علمًا وفقهًا.

قال أبو محمد بن حزم: وجُمعت فتاويه في سبعة أسفار كبار، وهي بحسب ما بلغ جامعها، وإلا فعلم ابن عباس كالبحر، وفقهه واستنباطه وفهمه في القرآن بالموضع الذي فاق به الناس، وقد سمع كما سمعوا، وحفظ القرآن كما حفظوه، ولكن أرضه كانت من أطيب الأراضي، وأقبلها للزرع، فبذر فيها النصوص، فأنبتت من كل زوج كريم، « ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ» [الحديد: ٢١] وأين تقع فتاوى ابن عباس وتفسيره واستنباطه من فتاوى أبي هريرة وتفسيره، وأبو هريرة أحفظ منه، بل هو حافظ الأمة على الإطلاق، يؤدي الحديث كما سمعه، ويدرسه بالليل درسًا، فكانت همته مصروفة إلى الحفظ، وبلغ ما حفظه كما سمعه، وهمة ابن عباس مصروفة إلى التفقه والاستنباط، وتفجير النصوص وشق الأنهار منها، واستخراج كنوزها.

وهكذا الناس بعده قسمان: قسم الحفاظ معتنون بالضبط والحفظ، والأداء كما سمعوا، ولا يستنبطون، ولا يستخرجون كنوز ما حفظوه.

وقسم معتنون بالاستنباط، واستخراج الأحكام من النصوص، والتفقه فيها. فالأول: كأبي زرعة، وأبي حاتم، وقبلهم كبندار محمد بن بشار، وعمرو الناقد، وعبد الرزاق، وقبلهم كمحمد بن جعفر غندر، وسعيد بن أبي عروبة، وغيرهم من أهل الحفظ والإتقان، والضبط لما سمعوه، من غير استنباط وتصرف واستخراج الأحكام من ألفاظ النصوص.

والقسم الثاني: كمالك، والشافعي، والأوزاعي، وإسحاق، والإمام أحمد بن حنبل، والبخاري، وأبي داود، ومحمد بن نصر المروزي، وأمثالهم ممن جمع الاستنباط والفقه إلى الرواية. فهاتان الطائفتان هما أسعد الخلق بما بعث الله تعالى به رسوله، وهم الذين قبلوه، ورفعوا به رأسًا.

وأما الطائفة الثالثة: وهم أشقى الخلق، الذين لم يقبلوا هدى الله، ولم يرفعوا به رأسًا، فلا حفظ، ولا فهم، ولا رواية، ولا دراية، ولا رعاية.

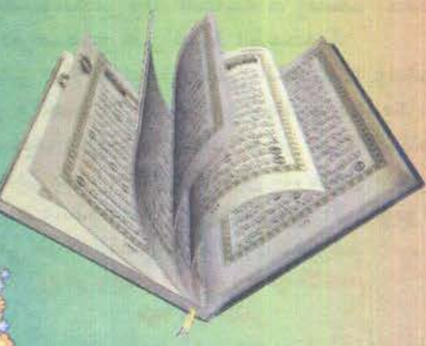
فالطبقة الأولى: أهل رواية ودراية والطبقة الثانية: أهل رواية ورعاية، ولهم نصيب من الدراية، بل حفظهم من الرواية أوفر. والطبقة الثالثة: الأشقياء، لا رواية، ولا دراية، ولا رعاية، «إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا » [الفرقان: ٤٤] فهم الذين يضيقون الديار، ويغلون الأسعار، إنّ همة أحدهم إلا بطنه وفرجه، فإن ترقت همته كان همه . مع ذلك . لباسه وزينته، فإن ترقت همته فوق ذلك كان همه في الرياسة والانتصار للنفس الغضبية، فإن ارتفعت همته عن نصرة النفس الغضبية كان همه في نصرة النفس الكلبية، فإن لم يعطها انتقل إلى نصرة النفس السبعية، فلا يعطيها إلا واحد من هؤلاء، فإنّ النفوس: كلبية، وسبعية، وملكية. فالكلبية تقنع بالعظم والكسرة والجيفة والقذرة والسبعية لا تقنع بذلك، بل بقهر النفوس، تريد الاستعلاء عليها بالحق والباطل. وأما الملكية فقد ارتفعت عن ذلك، وشمّرت إلى الرفيق الأعلى، فهمتها العلم والإيمان ومحبة الله تعالى، والإنابة إليه، وإيثار محبته ومرضاته، وإنما تأخذ من الدنيا ما تأخذ ؛ لتستعين به على الوصول إلى فاطرها وربها ووليها لا لتنقطع به عنه». اهـ.

وللحديث بقية إن شاء الله تعالى.

باب الأسرة

منهج الرسول ﷺ في الحفاظ على سمعة المسلمين

إعداد/ جمال عبدالرحمن



الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه... وبعد

فإن الله جميل يحب الجمال، طيب لا يقبل إلا طيباً ويستر القبيح، لا يحب الجهر بالسوء، يحب لحزبه الغلبة والمنفعة ويكره من يعادي أولياءه، كما يكره الصد عن سبيله بقبيح الفعال وسيئ الأخلاق.

إن سمعة المسلمين من الأمور العظيمة التي يدعو الإسلام للمحافظة عليها والابتعاد عن خدشها لأنه لا يليق بالمسلمين أن يكونوا محل تهمة وشبهة وشك وريبة، لأن ذلك يصد الناس عنهم وينفرهم فلا يصلح أن يكون المسلم مخادعاً ولا سباباً ولا لعاناً ولا طعاناً ولا فاحشاً ولا بذيئاً ولا محل ريبة ولهذا كان دعاؤهم كما ذكر عنهم ذلك ربهم، قال الله تعالى: «رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٨٥﴾ وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ» [يونس: ٨٥، ٨٦]، وقال: « وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا » [النساء/١١٥].

عَنْ مُجَاهِد، في قَوْلِه: «نُوَلِّه مَا تَوَلَّى» يَقُولُ: «نُوَلِّه في الْآخِرَة مَا تَوَلَّى مِنَ آلِهَة الْبَاطِلِ فِي الدُّنْيَا». [تفسير مجاهد ص: ٢٩٢]

وَقَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَن تَعْدِلُوا وَإِن تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا» [النساء: ١٣٥]

وقال:« يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ». المائدة/ ٨.

. عن كَثِيرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ الْمُزَنِيُّ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «الصُّلْحُ جَائِزٌ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ، إِلَّا صُلْحًا حَرَّمَ حَلَالًا، أَوْ أَحَلَّ حَرَامًا، وَالْمُسْلِمُونَ عَلَى شُرُوطِهِمْ، إِلَّا شَرْطًا حَرَّمَ حَلَالًا، أَوْ أَحَلَّ حَرَامًا» الترمذي وقال:هذا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

وَعَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «الْمُسْلِمُونَ تَتَكَافَأُ دِمَاؤُهُمْ. يَسْعَى بِذِمَّتِهِمْ أَدْنَاهُمْ، وَيُجِيرُ عَلَيْهِمْ أَقْصَاهُمْ، وَهُمْ يَدٌ عَلَى مَنْ

سِوَاهُمْ يَرُدُّ مُشِدُّهُمْ عَلَى مُضْعِفِهِمْ، وَمُتَسَرِّيهِمْ عَلَى قَاعِدِهِمْ لَا يُقْتَلُ مُؤْمِنٌ بِكَافِرٍ، وَلَا ذُو عَهْدٍ فِي عَهْدِهِ». [سنن أبي داود ٣/ ٨٠] وصححه الألباني].

النبي صلى الله عليه وسلم يبدأ بنفسه

النبي صلى الله عليه وسلم مع أنه خيرة خلق الله، وأفضلهم أدبًا وخلقا وليس محلا لأدنى ريبة ولا شك، بل من شك فيه كفر بالله تعالى، ومع هذا لما سار بأهله ليلاً ورآه بعض المسلمين دفع ما يمكن أن يلقيه الشيطان في قلوب الناس، فقال لصاحبيه: على رسلكما.

عَنْ عَلِيِّ بْنِ حُسَيْنٍ، أَنَّ صَفِيَّةَ - زَوْجَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم أَخْبَرَتْهُ: أَنَّهَا جَاءَتْ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم تَزُورُهُ، وَهُوَ مُعْتَكِفٌ فِي المَسْجِدِ، فِي العَشْرِ الأَوَاخِرِ مِنْ رَمَضَانَ، ثُمَّ قَامَتْ تَنْقَلِبُ (ترجع)، فَقَامَ مَعَهَا رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم حَتَّى إِذَا بَلَغَ قَرِيبًا مِنْ بَابِ المَسْجِدِ، عِنْدَ بَابِ أُمِّ سَلَمَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم، مَرَّ بِهِمَا رَجُلَانِ مِنَ الأَنْصَارِ، فَسَلَّمَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم ثُمَّ نَفَذَا، فَقَالَ لَهُمَا رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «عَلَى رِسْلِكُمَا، هذه صَفِيَّةُ»،(يعني: انتظرا) قَالَا: سُبْحَانَ اللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ،وَكَبُرَ عَلَيْهِمَا ذَلِكَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ الشَّيْطَانَ يَبْلُغُ مِنَ الإِنْسَانِ مَبْلَغَ الدَّمِ، وَإِنِّي خَشِيتُ أَنْ يَقْذِفَ فِي قُلُوبِكُمَا شَيْئًا». [صحيح البخاري ٤/ ٨٢]

والرسول صلى الله عليه وسلم يعلمنا هنا أن الإنسان لا يقف مواقف التهم والريب، وعليه أن يزيل الشبهة عن نفسه ولو عند أوثق الثقات.

حذار أن يُسبّ الله تعالى ورسوله بسببك

. وَقد نزّهنا الله تعالى أن يكون اسمه معرضًا للحنث العظيم والنكث الذميم وعلمنا أنّ النّاقد بَصير، والمواقف الشريفة النبويّة أعْلاها الله جل وعلا، فخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم. قال الله جل وعلا: « وَلا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ فَيَسُبُّوا اللهَ عَدْوًا بِغَيْرِ علم كَذَلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلى رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُمْ بِما كانُوا يَعْمَلُونَ». الأنعام/ ١٠٨.

قال قتادة: كان المسلمون يسبون أوثان الكفار، فيردون ذلك عليهم، فنهاهم الله أن يستسبوا لربهم، فإنهم قومٌ جهلة لا علم لهم بالله. تفسير الطبري

وفي هذه الآية تحذير من الله عز وجل للمسلمين من أي سلوك يستفز المخالف لهم إلى سب الله ورسوله والإسلام والمسلمين.

وعمر رضي الله عنه يخشى كلام الناس فيه

عمر بن الخطاب رضي الله عنه الذي كان يقول: من أراد ألا يسيء الناس به الظن فلا يقف مواقف التهم، ها هو يطبق ذلك على نفسه، فيجنب نفسه شكوك الناس وظنونهم.

عَنِ الْقَاسِمِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رضي الله عنه حَمِدَ اللَّهَ ثُمَّ قَالَ: أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ نَزَلَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَكُنَّا نَقْرَأُ: وَلَا تَرْغَبُوا عَنْ آبَائِكُمْ فَإِنَّهُ كُفْرٌ، وَآيَةُ الرَّجْمِ. وَإِنِّي قَدْ خِفْتُ أَنْ يَقْرَأَ الْقُرْآنَ قَوْمٌ يَقُولُونَ: لَا رَجْمَ، وَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَدْ رَجَمَ وَرَجَمْنَا. وَاللَّهِ لَوْلَا أَنْ يَقُولَ النَّاسُ: إِنَّ عُمَرَ زَادَ فِي كِتَابِ اللَّهِ لَكَتَبْتُهَا.وَلَقَدْ نَزَلَتْ وَكَتَبْنَاهَا. [تفسير يحيى بن سلام].

وهذا أيضا من حرص أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه ألا تُوجّه السهام نحو الرموز الإسلامية فيكون في ذلك فتنة للناس.

والرسول صلى الله عليه وسلم يمقت على من يصد الناس ويُنفّرهم

عَنْ أَبِي مَسْعُودٍ عُقْبَةَ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنه قَالَ: أَتَى رَجُلٌ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلم فَقَالَ: إِنِّي أَتَأَخَّرُ عَنْ صَلَاةِ الغَدَاةِ (الفجر) مِنْ أَجْلِ فُلَانٍ مِمَّا يُطِيلُ بِنَا فَمَا رَأَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلم أَشَدَّ غَضَبًا فِي مَوْعِظَةٍ مِنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَالَ: « يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ مِنْكُمْ مُنَفِّرِينَ، فَأَيُّكُمْ مَا صَلَّى بِالنَّاسِ فَلْيَتَجَوَّزْ؛ فَإِنَّ فِيهِمُ الضَّعِيفَ وَالْكَبِيرَ وَذَا الْحَاجَةِ «. [مسند أحمد وإسناده صحيح على شرط الشيخين].

وهو هنا لم يقبل صلى الله عليه وسلم التنفير والصد عن الإسلام وشعائره، مما يُكرّه الناس فيه، ولأجل ألا نصد الناس عن الإسلام والمسلمين بسبب أفعالهم فإن الرسول صلى الله عليه وسلم يؤكد على أصحابه ألا يكونوا سببًا في فتنة الناس وصدهم وتنفيرهم.

ويأمر بالوفاء بالعهود ولو مع الأعداء مهما كان الثمن

. عن حُذَيْفَة بْنِ الْيَمَانِ، قَالَ: مَا مَنَعَنِي أَنْ أَشْهَدَ بَدْرًا إِلَّا أَنِّي خَرَجْتُ أَنَا وَأَبِي حُسَيْلٌ، قَالَ: فَأَخَذَنَا كُفَّارُ قُرَيْشٍ، قَالُوا: إِنَّكُمْ تُرِيدُونَ مُحَمَّدًا،

فَقُلْنَا: مَا نُرِيدُهُ، مَا نُرِيدُ إِلَّا الْمَدِينَةَ، فَأَخَذُوا مِنَّا عَهْدَ الله وَمِيثَاقَهُ لَنَنْصَرِفَنَّ إِلَى الْمَدِينَةِ، وَلَا نُقَاتِلُ مَعَهُ، فَأَتَيْنَا رَسُولَ الله صلى الله عليه وسلم، فَأَخْبَرْنَاهُ الْخَبَرَ، فَقَالَ: «انْصَرِفَا، نَفِي لَهُمْ بِعَهْدِهِمْ، وَنَسْتَعِينُ اللهَ عَلَيْهِمْ» صحيح مسلم.

ويوفون بالعهود مع العدو اللدود

اقْتَتَل المسلمون بقيادة أبي عبيد بن مسعود الثقفي والفرس بقيادة جابان قتالا شَديدًا فَهَزَمَ اللَّهُ أَهْلَ فَارِسَ، وَأُسِرَ جَابَانُ، أَسَرَهُ مطر بن فضة التيمي، وَأَمَّا مَطَرُ بْنُ فضة فإِنَّ جَابَانَ خَدَعَهُ، حَتَّى تَفَلَّتَ مِنْهُ بِشَيْءٍ فَخَلَّى عَنْهُ وفداه، فَأَخَذَهُ الْمُسْلِمُونَ، فَأَتَوْا به أَبَا عُبَيْد وَأَخْبَرُوهُ أَنَّهُ الْمَلِكُ، وَأَشَارُوا عَلَيْه بقَتْله، فَقَالَ: إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ أَنْ أَقْتُلَهُ، وَقَدْ آمَنَهُ رَجُلٌ مُسْلِمٌ، وَالْمُسْلِمُونَ فِي التَّوَادِّ وَالتَّنَاصُرِ كَالْجَسَد، مَا لَزِمَ بَعْضَهُمْ فَقَدْ لَزِمَهُمْ كُلَّهُمْ. [تَارِيخ الطَّبري]

بل وينهى صلى الله عليه وسلم أن تكون سُمعة المسلمين محلا للشكوك والظنون

ارتكب بعض الناس ممن ينتسبون إلى الإسلام فظائع في حق النبي صلى الله عليه وسلم ومنهم من كان منافقا معلوم النفاق، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يصبر على أذاهم وبلاهم مع أن أعمالهم كان يستحقون عليها القتل، لكنه كان يمتنع عن قتلهم حتى لا يرى الناس ذلك فيظنون أنه صلى الله عليه وسلم يدعو الناس إلى الإسلام ثم يقتلهم بعد ذلك.

عن عَمْرُو بْنُ دِينَارٍ، أَنَّهُ سَمِعَ جَابِرًا رضي الله عنه، يَقُولُ: غَزَوْنَا مَعَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم وَقَدْ ثَابَ مَعَهُ نَاسٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ حَتَّى كَثُرُوا، وَكَانَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ رَجُلٌ لَعَّابٌ، فَكَسَعَ أَنْصَارِيًّا ضربه بقدمه، فَغَضِبَ الأَنْصَارِيُّ غَضَبًا شَدِيدًا حَتَّى تَدَاعَوْا، وَقَالَ الأَنْصَارِيُّ: يَا لَلأَنْصَارِ، وَقَالَ الْمُهَاجِرِيُّ: يَا لَلْمُهَاجِرِينَ، فَخَرَجَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم، فَقَالَ: « مَا بَالُ دَعْوَى أَهْلِ الجَاهِلِيَّةِ؟ ثُمَّ قَالَ: مَا شَأْنُهُمْ « فَأُخْبِرَ بِكَسْعَةِ الْمُهَاجِرِيِّ الأَنْصَارِيَّ، قَالَ: فَقَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: «دَعُوهَا فَإِنَّهَا خَبِيثَةٌ» وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أُبَيٍّ ابْنُ سَلُولَ: أَقَدْ تَدَاعَوْا عَلَيْنَا، لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى المَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الأَعَزُّ مِنْهَا الأَذَلَّ، فَقَالَ عُمَرُ: أَلاَ نَقْتُلُ يَا رَسُولَ اللَّهِ هَذَا الخَبِيثَ؟ لِعَبْدِ اللَّه بن أبي ابن سلول، فَقَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: «لاَ يَتَحَدَّثُ النَّاسُ أَنَّهُ كَانَ يَقْتُلُ أَصْحَابَهُ». صحيح البخاري.

- وفي رواية عَنْه رضي الله عنه قَالَ: أَتَى رَجُلٌ بِالْجِعْرَانَة النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم وَهُوَ يَقْسِمُ غَنَائِمَ مُنْصَرِفَهُ مِنْ حُنَيْنٍ، وَفِي ثَوْبِ بِلَالٍ فِضَّةٌ، وَرَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقْبِضُ مِنْهَا يُعْطِي النَّاسَ. فقَالَ الرجل: يَا مُحَمَّدُ ؛ اعدل، فقالَ: «ويلك، ومن يعدل إذا لم أَكُنْ أَعْدلُ؟ لَقَدْ خِبْتُ وَخَسِرْتُ إِنْ لَمْ أَكُنْ أَعْدلُ». فَقَالَ عُمَرُ: دَعْنِي أَقْتُلْ هَذَا الْمُنَافِقَ. قَالَ: «مَعَاذَ اللَّه، أَنْ يَتَحَدَّثَ النَّاسُ أَنِّي أَقْتُلُ أَصْحَابِي، إِنَّ هَذَا وَأَصْحَابَهُ يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ». أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ. [تَاريخ الإسلام].

- وفي رواية: قال أسيد بن حضير رضي الله عنه: والذي بعثك بالحق يا رسول الله لا أبرح حتى آتيك برؤوسهم، فقال صلى الله عليه وسلم:(إني أكره أن يقول الناس: إن محمداً قاتل بقوم حتى إذا أظهره الله بهم أقبل عليهم يقتلهم) فقال: يا رسول الله ؛ هؤلاء ليسوا بأصحاب، فقال صلى الله عليه وسلم:(أليس يظهرون الشهادة)؟. [روح البيان ٣/ ٤٦٧]

ولا يُوقعون الأعداء في أدنى ظن سيء بالمسلمين

هذا رجل أسلم ومعه أمانات للمشركين لكنه كتم إسلامه حتي يرد إليهم ودائعهم لا ينزعجوا بإسلامه ظناً منهم أنه سيذهب بأموالهم لاختلاف الدين .

عن عَبْد اللَّه بْن أَبِي بَكْر بْن حزم قَالَ: خرج أَبُو العَاص تاجرًا إِلَى الشام، وكان رجلا مأمونا، فكانت معه بضائع لقريش، فاقبل فلقيته سريةٌ للنَّبيّ صلى الله عليه وسلم، فاستاقوا عيره وهرب، وقدموا عَلَى رَسُول الله صلى الله عليه وسلم بما أصابوا فقسمه بينَهم، وأتى أَبُو العاص حتى دخل عَلَى زينب فاستجار بهَا، وسألها أن تطلب لَهُ من رَسُول الله صلي الله عليه وسلم ردّ ماله عَلَيْه، فدَعَا رَسُول الله صلى الله عليه وسلم السَّريَّة فقال لهم: «إنَّ هَذا الرجل منا حيث قد علمتم، وقد أصبتم لَهُ مالاً ولغيره ممن كَانَ معه، وهو فَيْءٌ، فإنْ رأيتم أن تردّوا عَلَيْه فافعلوا، وإنْ كرهتم فأنتم وحقكم». قالوا: بل نردّه عَلَيْه. فردّوا والله

عَلَيْه ما أصابوا، حتى إنّ الرجل ليأتي بالشّنّة، والرَجل بالإداوة وبالحبل، ثُمّ خرج حتى قدم مكة، فأدّى إلَى الناس بضائعهم، حتى إذا فرغ قَالَ: يا معشر قريش، هَلْ بقي لأحد منكم معي مال؟ قَالُوا: لا، فجزاك الله خيرًا. فَقَالَ: أما والله ما منعني أن أسلم قبل أن أقدم عليكم إلّا تخوُّفا أن تظنُّوا أنّي إنّما أسلمت لأذهب بأموالكم، فإني أشهد أنْ لا إلَهَ إلا اللهُ، وَأَنّ مُحَمّدًا عبده ورسوله. [تاريخ الإسلام للإمام الذهبي].

يعني هذا الرجل كره أن يزعج المشركين بإسلامه، مع علمه في نفسه أنه سيرد إليهم بضاعتهم وتجارتهم ولو أسلم، ولكن لمجرد أن ينزعجوا عليها حتى تصل من المدينة إلى مكة، رفض أن يعيشهم هذا القلق وهذا الظن الذي كان سينتهي بوصوله إليهم.

حتى تحديث الناس ينبغي أن يكون بكلام يفهمونه مهما كان حقًا فيوقع الكلام مواقعه، فلكل حادثة حديث، ولكل مقام مقال، وربما ذكر حكم في غير أهله فصدهم عن السبيل، أو كذبوا بهذا الحديث. قال عَلِيّ:«حَدِّثُوا النَّاسَ بِمَا يَعْرِفُونَ أَتُحِبُّونَ أَنْ يُكَذَّبَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ». [صَحيح البُخاري]

وفي قمة مجدهم يعترفون بالخطأ في حق عدوهم

هذا المثنى بن حارثة يقاتل الفرس في معركة البويب بعد مقتل أبي عبيد، وقد عبر الفرس إلى المسلمين نهر الفرات فهزمهم المثنى ففروا هاربين إلى الجسر فبادرهم عند الهزيمة إلى الجسر، فقطعه عليهم، فأخذوا يمنة ويسرة، وتبعهم المسلمون إلى الليل، ومن الغد إلى الليل، وندم المثنى على قطعه الجسر، واعترف بخطئه وقال: لقد عجزت عجزة (أي زللتُ زلة) وقى الله شرها بمسابقتي إياهم إلى الجسر وقطعه، حتى أحرجتهم، فإني غير عائد، فلا تعودوا ولا تقتدوا بي أيها الناس، فإنها كانت مني زلة، لا ينبغي إحراج أحد إلا من لا يقوى على امتناع. [تاريخ الطبري].

لا يصلح مع الإسلام سلوكيات فاسدة

. قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: أَرَادَ فَضَالَةُ بْنُ عُمَيْرِ بْنِ الْمُلَوّحِ - يَعْنِي اللّيْثِيّ - قَتْلَ النّبِيّ صلى الله عليه وسلم وَهُوَ يَطُوفُ بِالْبَيْتِ عَامَ الْفَتْحِ، فلمّا دَنَا مِنْهُ قَالَ رَسُولُ اللّهِ صلى الله عليه وسلم:» أَفَضَالَةُ؟ « قَالَ: نَعَمْ فَضَالَةُ يَا رَسُولَ اللّه، قَالَ:» مَاذَا كنت تحدث به نفسك؟ « قَالَ: لا شئ كُنْتُ أَذْكُرُ اللّهَ، قَالَ: فَضَحِكَ النّبِيّ صلى الله عليه وسلم ثُمّ قَالَ « اسْتَغْفِرِ اللّهَ « ثُمّ وَضَعَ يَدَهُ عَلَى صَدْرِه، فَسَكَنَ قَلْبُهُ فكَانَ فَضَالة يَقُولُ: وَاللّه مَا رَفَعَ يَدَهُ عَنْ صَدْرِي حَتّى مَا مِنْ خَلْقِ اللّه شئ أَحَبّ إلَيّ مِنْهُ، قال فَضَالَةُ: فَرَجَعْتُ إلَى أَهْلِي فَمَرَرْتُ بِامْرَأَةٍ كُنْتُ أَتَحَدّثُ إلَيْهَا فقَالَتْ: هَلُمّ إلَى الْحَدِيثِ؟ فَقَالَ: لَا، وَانْبَعَثَ فَضَالَةُ يَقُولُ:

قَالَتْ هَلُمّ إلَى الْحَدِيثِ فَقُلْتُ لَا ... يَأْبَى عَلَيْكِ اللّهُ وَالْإِسْلَامُ
لو قد رَأَيْتِ مُحَمّدًا مَعَ صَحْبِه ... بِالْفَتْحِ يَوْمَ تَكَسّرَ الْأَصْنَامُ
لَرَأَيْتِ دِينَ اللّهِ أَضْحَى بَيّنًا ... وَالشّرْكَ يَغْشَى وَجْهَهُ الْإِظْلَامُ

[البداية والنهاية]

سبحان الله؛ هذا الرجل لم يعلم من الإسلام سوى الشهادتين، لم يستمع إلى خطبة، ولم يجلس إلى موعظة ودرس، ولم يجلس أمام قنوات دينية، فلما دعته العشيقة، قال لها: يأبى الله والإسلام، وكثير من الناس وُلد في الإسلام وشاب فيه، ولا يعرف أوامره ونواهيه.

وعَنِ الشعبيّ، قَالَ قدم أَبُو العاص من الشام ومعه أموال المشركين، وقد أسلمت امرأته زينب (بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم) وهاجَرَت. فقيل لَهُ: هَلْ لك أن تُسْلم وتاخذ هذه الأموال التي معك؟ فقال: بئس ما أبدأ به إسلامي أن أخون أمانتي. وكفلت عَنْهُ امرأته أن يرجع فيؤديَ إلى كل ذي حق حقّه؛ فيرجع ويُسْلم، ففعل، وما فرّق بينهما، يعني النّبيّ صلى الله عليه وسلم. [تاريخ الإسلام للإمام الذهبي].

فرفض هذا الرجل أن يبتدئ إسلامه بعمل يلفت نظر الناس إليه أنه خان الأمانات. ألا فليتق الله كل مسلم ومسلمة في سمعة المسلمين وسيرتهم.

والحمد لله رب العالمين.

تحذير الداعية من القصص الواهية

قصة الجُبّ مُنْتِن الريح ليلة الإسراء والمعراج

الحلقة (١٤١)

إعداد/ علي حشيش

نواصل في هذا التحذير تقديم البحوث العلمية الحديثية للقارئ الكريم حتى يقف على حقيقة هذه القصة التي اشتهرت على ألسنة القُصّاص والوعاظ، خاصة عندما يأتي شهر رجب من كل عام، فتشتهر القصص الواهية المتعلقة بالإسراء والمعراج، ولقد بينا من قبل:

قصة «اختراق الحجاب ليلة الإسراء».

قصة «كلام النبي صلى الله عليه وسلم مع ربه ليلة الإسراء والمعراج حول عطائه لأنبيائه».

قصة «ماشطة ابنة فرعون ليلة الإسراء والمعراج».

قصة «اختراق الحجاب ليلة الإسراء».

وقصة: «بكاء النبي صلى الله عليه وسلم من مشاهد تعذيب النساء ليلة الإسراء والمعراج».

وقصة: «الراكبين الأربعة والبراق في القيامة».

وإن تعجب فعجب أن هذه القصص الواهية تنتشر على ألسنة القصاص والوعاظ في الخطب والمحاضرات والفضائيات والصحف في شهر رجب ظنًا منهم أن الإسراء والمعراج كان في شهر رجب.

ولقد بيّن ذلك الحافظ ابن رجب الحنبلي في «لطائف المعارف» (ص١٧٧) حيث قال: «وقد رُوي أنه كان في شهر رجب حوادث عظيمة، ولم يصحَّ شيء من ذلك، فروي أن النبي صلى الله عليه وسلم وُلد في أول ليلة منه، وأنه بُعث في السابع والعشرين منه، وقيل في الخامس والعشرين، ولا يصح شيء من ذلك».

ورُوي بإسناد لا يصح عن القاسم بن محمد أن الإسراء بالنبي كان في سابع وعشرين من رجب، وأنكر ذلك إبراهيم الحربي وغيره». اهـ.

قلت: لذلك قال الإمام الحافظ المحدث أبو شامة في «الباعث» ص(١٧١): «وذكر بعض القُصّاص أن الإسراء كان في رجب، وذلك عند أهل التعديل والجرح عين الكذب». اهـ.

وبهذا البيان يستطيع القارئ أن يقف على حقيقة هذه القصص التي اشتهرت وانتشرت، وأحصيناها إجمالاً للتذكرة، ومن أراد التفصيل فليرجع إليها في مواقعها في هذه السلسلة خاصة في شهر رجب.

وإلى القارئ الكريم تخريج وتحقيق:

قصة «الجُبّ مُنْتِن الريح ليلة الإسراء والمعراج»

أولاً: المتن:

رُوِيَ عن راشد بن سعد المقرائي قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لما عُرِج بي مَرَرْتُ برجال تُقطعُ جُلودهم بمقاريض من نار، فقلت: من هؤلاء يا جبريل؟

قال: الذين يتزينون للزينة.

قال: ثم مررت بجُبٍّ مُنتِن الريح، فسمعت فيه أصواتًا شديدة.

فقلت: من هؤلاء يا جبريل؟

قال: نساء كن يتزين للزينة، ويفعلن ما لا يحل لهن، ثم مررت على نساء ورجال معلقين بثديهن.

فقلت: من هؤلاء يا جبريل؟

فقال: هؤلاء الهمازون والهمازات وذلك قول الله عز وجل: «وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ» [الهمزة: ١]. اهـ.

ثانيًا: التخريج:

أخرج هذا الخبر الذي جاءت به قصة «الجُبّ مُنتن الريح» ليلة الإسراء والمعراج الإمام البيهقي في «شعب الإيمان» (٣٠٩/٥) ح(٦٧٥٠) قال: «أخبرنا أبو عبد الله الحافظ، وأحمد بن الحسن قالا: حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب، حدثنا أبو عتبة، حدثنا بقية، حدثنا سعيد بن سنان، عن سعد بن خالد، عن عمه راشد بن سعد المقرائي، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لما عرج بي...» القصة.

وأورد هذه القصة الحافظ المنذري في «الترغيب

والترهيب» (٣/٢٧٧، ٣/٥١٠)، وعزاها إلى الإمام البيهقي.

ويتوهم الكثير من القُصاص والوعاظ بمجرد وجود القصة في «الترغيب والترهيب» للحافظ المنذري وعزو القصة للإمام البيهقي الصحة، هذا والكثير لا يفرق بين التخريج والتحقيق، فالتخريج: هو الدلالة على موضع الحديث في مصادره الأصلية التي أخرجته بسنده كما هو مبين في تخريجنا لخبر هذه القصة.

أما التحقيق: فهو البحث العلمي الدقيق الذي به تستبين درجة الحديث من الصحة أو الضعف.

ثالثًا: التحقيق:

هذا الخبر الذي جاءت به القصة سنده تالف ومسلسل بالعلل.

أ- العلة الأولى: سعيد بن سنان.

١- قال الإمام المزي في «تهذيب الكمال» (٧/٢٢٨/٢٢٧٧): «سعيد بن سنان الشامي أبو مهدي الحنفي ويقال الكندي الحمصي روى عنه بقية بن الوليد وآخرين». وقال يزيد بن عبد ربه: مات سنة ثمان وستين ومائة.

٢- وفي «سؤالات عثمان بن سعيد الدارمي لأبي زكريا يحيى بن معين» السؤال (٣٦٦): «سعيد بن سنان أبو مهدي؟ فقال: ليس بشيء».

٣- وفي «سؤالات أبي إسحاق إبراهيم بن الجنيد للإمام يحيى بن معين» السؤال (٥٤٨): قال لي يحيى بن معين: عُفير بن معدان، وأبو مهدي سعيد بن سنان، وأبو حفص القاصّ عثمان بن أبي العاتكة: هؤلاء ليسوا بشيء».

٤- قال الإمام الحافظ ابن عدي في «الكامل في ضعفاء الرجال» (٣/٣٥٩) (٦٩/٨٠١): سعيد بن سنان الحمصي يكنى أبا مهدي، ثم قال: حدثنا ابن حماد، حدثنا العباس، عن يحيى قال: «سعيد بن سنان أبو المهدي ليس بثقة».

٥- وأخرج الحافظ ابن عدي قول الإمام يحيى هذا بطريق آخر فقال: حدثنا أحمد بن علي المطيري، حدثنا عبد الله الدورقي، قال يحيى بن معين: «سعيد بن سنان أبو مهدي، حمصي ليس بثقة».

٦- كذلك أخرج الإمام الحافظ العقيلي في «الضعفاء الكبير» (٢/١٠٧/٥٧٨) قول الإمام يحيى بن معين بنفي الثقة عن سعيد بن سنان أبو المهدي الحمصي الكندي فقال: «سعيد بن سنان أبو المهدي ليس بثقة». اهـ.

٧- قال الإمام الحافظ ابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» (٤/٢٨/١٤): «سألت أبي عن أبي مهدي سعيد بن سنان الحمصي فقال: ضعيف الحديث، منكر الحديث».

٨- قال الإمام البخاري في «الضعفاء الصغير» (١٣٥): «سعيد بن سنان أبو مهدي الكندي الحنفي الحمصي: منكر الحديث».

قلت: وهذا المصطلح عند الإمام البخاري له معناه؛ فقد قال الإمام السيوطي في «التدريب» (١/٣٤٩): «البخاري يطلق: فيه نظر، وسكتوا عنه: فيمن تركوا حديثه، ويطلق منكر الحديث على من لا تحل الرواية عنه». اهـ.

وببيان مصطلح البخاري «منكر الحديث» يتبين أن سعيد بن سنان لا تحل الرواية عنه، وهذا جرح شديد.

٩- لذلك نقل الإمام الذهبي في «الميزان» (٢/١٤٣/٣٢٠٨) عن الإمام الجوزجاني قال: سعيد بن سنان أبو مهدي الحمصي أخاف أن تكون أحاديثه موضوعة. اهـ.

قلت: والحديث الموضوع: هو الكذب المختلق المصنوع، وهو شر الضعيف وأقبحه، وتحرم روايته مع العلم به في أي معنى كان، سواء الأحكام والقصص والترغيب وغيرها إلا مقرونًا ببيان وضعه». اهـ. كذا في «التدريب» (١/٢٧٤) النوع (٢١) لذلك نذكر القصة الواهية الموضوعة، ونبين وضعها ونحذر منها.

١٠- قال الإمام النسائي في «الضعفاء والمتروكين» (٢٦٨): «سعيد بن سنان أبو المهدي الحمصي متروك الحديث». اهـ.

قلت: وهذا المصطلح عند الإمام النسائي له معناه. قال الإمام الحافظ ابن حجر في «شرح النخبة» ص(٧٣): «مذهب النسائي: ألا يترك حديث الرجل حتى يجتمع الجميع على تركه».

١١- ولقد أثبت الإمام الدارقطني في كتابه «الضعفاء والمتروكين» (٢٧٠) الراوي سعيد بن سنان فقال: «سعيد بن سنان أبو المهدي، حمصي عن أبي الزاهرية». اهـ.

قلت: ولم يذكر الإمام الدارقطني في كتابه هذا غير هذه الجملة، فيتوهم من لا دراية له بمناهج المحدثين في الجرح والتعديل أن الإمام الدارقطني سكت عنه، ولا يدرك أن مجرد إثبات الراوي في الكتاب يدل على الجرح الشديد؛ حيث بيّن الإمام البرقاني المنهج في كتاب «الضعفاء والمتروكين» للإمام الدارقطني فقال: «طالت محاورتي مع أبي منصور إبراهيم بن الحسين بن حمكان لأبي الحسن علي بن عمر الدارقطني عفا الله عني وعنهما في المتروكين من أصحاب الحديث، فتقرر بيننا وبينه على ترك من أثبته على حروف المعجم في هذه الورقات». اهـ.

قُلْتُ: بهذا يتبين أنه بإثبات الراوي في كتاب «الضعفاء والمتروكين» للإمام الدارقطني وإن لم يذكر معه جرح، فمجرد ذكر الراوي جرح شديد؛ لأنه إجماع من الأئمة الثلاثة: البرقاني، وابن حمكان، والدارقطني على ترك من أثبت اسمه في هذا الكتاب.

قلت: بهذا يتبين أن سعيد بن سنان أبا مهدي الكندي الحمصي ليس بثقة، وليس بشيء، ومنكر الحديث، ومتروك الحديث لا تحل الرواية عنه، والخوف أن تكون أحاديثه موضوعة.

فائدة: هذه العلة الأولى الراوي: سعيد بن سنان لم يُذكر في السند الذي جاءت به هذه القصة إلا اسم الراوي واسم أبيه وبالبحث نجد أنهما اثنان وهذا النوع في علوم الحديث يسمى: «المتفق والمفترق» هو ما اتفقت أسماؤهم وأسماء آبائهم خطاً ولفظا واختلفت أشخاصهم سواء اتفق في ذلك اثنان منهم أو أكثر. كذا في «شرح النخبة» ص(٦٦).

ومعرفة هذا النوع مهم جدًا فقد زلق بسبب الجهل به غيرُ واحد من أكابر العلماء، ومن فوائده: التمييز بين المشتركين في الاسم، فربما يكون أحدهما ثقة والآخر ضعيفا، فيضعف ما هو صحيح أو العكس.

وهذا ينطبق تمام الانطباق في بحثنا هذا على سعيد بن سنان، فقد نقل الحافظ ابن حجر في «التهذيب» (٤١/٤) قول الإمام الدارقطني: «وقال الدارقطني سعيد بن سنان اثنان:

الأول: أبو مهدي حمصي يضع الحديث.

الثاني: وأبو سنان كوفي سكن الري من الثقات». اهـ.

قلت: ولقد تبين لنا بالبحث في شيوخه والرواة عنه، ومعرفة عصره ونسبه ونسبته وكنيته: أن علة هذه القصة: سعد بن سنان أبو مهدي الكندي الحنفي الحمصي.

العلة الثانية: بقية:

١- قال الإمام الحافظ المزي في «تهذيب الكمال» (٧٢٦/١٢٥/٣): «بقية بن الوليد بن صائد بن كعب بن حريز الكلاعي الحميري الميمي أبو يحمد الحمصي، روى عنه أبو عتبة أحمد بن الفرج الحجازي».

وبيّن في «تهذيب الكمال» (٢٢٧٧/٢٢٨/٧) أن بقية بن الوليد روى عن سعيد بن سنان الحمصي.

وبهذا التحقيق نقف على حقيقة رجال السند عندما لم يذكر في السند من اسم الراوي إلى كنيته مثل أبي عتبة، أو يذكر الاسم فقط وهو المهمل: مثل بقية، أو المتفق والمفترق: مثل سعيد بن سنان.

فالسند: أبو عتبة، حدثنا بقية، حدثنا سعيد بن سنان عن سعد بن خالد عن عمه راشد بن سعد المقرائي، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لما عرج بي مررت برجال تقطع جلودهم..». القصة.

٢- قال الإمام الحافظ ابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» (١٧٢٨/٤٣٤/٢): حدثني أبي حدثنا معاوية بن صالح بن أبي عبيد الله قال: قال أبو مسهر: «بقية أحاديثه ليست نقية، فكن منها على تقية».

٣- قال الإمام الذهبي في «تذكرة الحفاظ» (٢٦٩/٢٨٩/١): «كان يدلس كثيرًا فيما يتعلق بالأسماء، ويدلس عن قوم ضعفاء وعوام يسقطهم، ويروي عمن دبّ ودرج». اهـ.

٤- ونقل الإمام الذهبي في «الميزان» (١٢٥٠/٣٣١/١) عن أبي إسحاق الجوزجاني قال: «رحم الله بقية ما كان يبالي إذا وجد خرافة عمن يأخذه، فإن حدث عن الثقات فلا بأس به». اهـ.

قلت: ولكنه في هذه القصة كما بينا آنفًا أنه حدث سعيد بن سنان الحمصي وهو كما قال الإمام يحيى بن معين ليس بثقة، وقال أئمة الجرح والتعديل: متروك، منكر الحديث.

٥- ونقل الإمام الذهبي عن الحسن بن القطان قال: «بقية يدلس عن الضعفاء ويستبيح ذلك، وهذا إن صح مفسدة لعدالته». اهـ.

قال الذهبي: «نعم والله صح هذا عنه، إنه يفعله، وهذه بلية».

٦- قال الحافظ ابن حجر في «طبقات المدلسين» (المرتبة الرابعة/١): «بقية بن الوليد الحمصي: كان كثير التدليس عن الضعفاء والمجهولين».

قلت: وكان بقية يدلس تدليس التسوية وهو شر أنواع التدليس، ولقد بيّن ذلك الحافظ السخاوي في «فتح المغيث» (٣٣٩/١) فقال: «تدليس التسوية: أن يروي المدلس حديثًا عن شيخ ثقة بسند فيه ضعف، فيحذفه المدلس من بين الثقتين اللذين لقي أحدهما الآخر ولم يُذكر أولهما بالتدليس، ويأتي بلفظ محتمل، فيستوي الإسناد كله ثقات، ويصرّح المدلس بالاتصال عن شيخه؛ لأنه قد سمعه منه، فلا يظهر في الإسناد ما يقتضي رده إلا لأهل النقد والمعرفة بالعلل ويصير الإسناد عاليًا، وهو في الحقيقة نازل، وهو مذموم جدًا؛ لما فيه من مزيد الغش والتغطية، وربما يلحق الثقة، الذي هو دون الضعيف، الضرر من ذلك بعد تبين الساقط بإلصاق ذلك به مع براءته، قال ابن حزم: صح عن قوم إسقاط المجروح، وضم القوي إلى القوي؛ تلبيسًا على من يحدث، وغرورًا لمن يأخذ عنه، فهذا مجروح وفسقه ظاهر، وخبره مردود؛ لأنه ساقط العدالة. اهـ.

ثم قال: وممن كان يفعله بقية بن الوليد، والوليد بن مسلم. اهـ.

ولذلك أخذ أئمة هذا الفن حذرهم ممن يفعل هذا النوع من التدليس، فلا يُقبل منه التصريح بالسماع في روايته عن شيخه فقط، بل لا بد أن يقول: حدثني فلان قال: حدثني فلان، قال: حدثني فلان إلى أن يصل به إلى النبي صلى الله عليه وسلم، أي لم يكتف بالتصريح بالسماع عن شيخه فقط، بل لا بد من التصريح في

باقي الإسناد حتى يصل إلى الراوي الأعلى.
قلت: بالرجوع إلى سند القصة نجده لم يصرح إلا عن شيخه المتروك فقط، وبقية السند لم يصرح فيه بالسماع.

العلة الثالثة: الإرسال:

السند: عن راشد بن سعد المقرائي قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: والبحث عن طبقة راشد:
قال الحافظ ابن حجر في «التقريب» (١/ ٢٤٠): «رأيت سعد المقرائي الحمصي كثير الإرسال عن الثالثة». اهـ.
قال الحافظ: «الثالثة.. الطبقة الوسطى من التابعين».
فإذا قال التابعي راشد بن سعد المقرائي قال رسول الله: فقد سقط من السند ما بعد التابعي، فهو مرسل وزاد هذا الإرسال السند ضعفًا على هذا بهذا السقط.
قلت: بهذا التحقيق يتبين أن القصة «قصة الجُبِّ منتن الريح لليلة الإسراء والمعراج» واهية وسندها تالف مسلسل بالعلل من طعن في الرواة وسقط في الإسناد.
لذلك أورد الشيخ الألباني رحمه الله حديث القصة في «ضعيف الترغيب والترهيب» (٢/ ٢٣٠) (ح١٦٨٨) وقال: «ضعيف جدًا».
وهذه القصص الواهية لا تؤثر في ثبوت الإسراء والمعراج، فقصة الإسراء والمعراج ثابتة بل متواترة.
فقد أوردها الإمام الكتاني في «نظم المتناثر من الحديث المتواتر» (ح٢٥٨) قال: حديث قصة الإسراء والمعراج جاءت من حديث:
١- أنس ٢- ومالك بن صعصعة ٣- وأبي ذر ٤- وجابر بن عبد الله ٥- وبريدة ٦- وحذيفة بن اليمان ٧- وابن عباس ٨- وأبي بن كعب ٩- وأبي سعيد الخدري ١٠- وشداد بن أوس ١١- وأبي هريرة ١٢- عائشة ١٣- وابن مسعود ١٤- وعلي بن أبي طالب ١٥- وعمر بن الخطاب ١٦- وأبي حبة الأنصاري ١٧- وأبي ليلى الأنصاري ١٨- وأبي الحمراء ١٩- وأبي أيوب ٢٠- وأبي أمامة ٢١- وسمرة بن جندب ٢٢- وابن عمرو ٢٣- وصهيب بن سنان ٢٤- وأسماء بنت أبي بكر ٢٥- وعبد الرحمن بن قرط ٢٦- وأم هانئ ٢٧- وأم سلمة ٢٨- وأسامة بن زيد ٢٩- وبلال بن حمامة ٣٠- وبلال بن سعيد ٣١- وسهل بن سعد ٣٢- وابن عمر ٣٣- وابن الزبير ٣٤- وابن أبي أوفى ٣٥- وعبد الله بن أسعد بن زرارة ٣٦- وعبد الرحمن بن عايش ٣٧- والعباس بن عبد المطلب ٣٨- وأبي بكر ٣٩ وعثمان ٤٠- وأبي الدرداء ٤١- وأبي سفيان بن حرب ٤٢- وأبي سلمة ٤٣- وأبي سلمى الراعي ٤٤- وأم كلثوم بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ٤٥- وعياض.
ثم قال: «فمجموع ذلك خمسة وأربعون صحابيًا، وعليه فالإسراء متواتر، وكونه على البراق كذلك». اهـ.
وحاولت أن أبين تواتر الإسراء والمعراج وذكرت الأسماء للصحابة ؛ لأن في كتاب «موسوعة التاريخ الإسلامي» الذي كان يدرس على طلاب كلية دار العلوم جامعة القاهرة يقول الأستاذ الدكتور - عفا الله عنا وعنه - ولا يهمنا ذكر اسمه بقدر ما يهمنا بيان منهجه في إنكار السنة والرد عليه؛ دفاعًا عن السنة، حيث قال في كتابه هذا (ص٢٣٦): «ونقطة ثالثة: هي البراق الذي تقول الرواية: إن الرسول انتقل بواسطته ثم يقول: واعتقادي أن هذه الروايات موضوعة». اهـ.
ثم يقول في كتابه هذا (ص٢٣٧): «ونقطة رابعة نعرضها أيضا هي ما يروى عن قصة صعود رسول الله صلى الله عليه وسلم مع جبريل إلى السماوات العلى، فالرواية تصوير مادي محض يؤخذ عليه ما يلي:
١- ليست هناك أبواب صلبة تدق.
٢- ثم إن الرواية تصور الله جل وعلا كأنه هناك في مكان يسعى له محمد مع أن القرآن يقول: «فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ» [البقرة: ١٨٦]، ويقول: «مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ» [المجادلة: ٧].
ثم يقول علماء التوحيد: «إن الله في كل مكان»!!
قلت: انظر إلى التوحيد الذي درسه طلبة كلية دار العلوم في زمن التعيين لوظيفة اللغة العربية والدين لينقلوا فكر الحلولية - فكر يؤدي إلى إنكار صفة علو الذات وأثره السيئ في إنكار معجزة الإسراء والمعراج.
حتى قال الدكتور (ص٢٣٩): «واعتقادي أن هذه القصة من الإسرائيليات». ثم قال: «أقرر أن هناك أحاديث موضوعة وجدت طريقها إلى البخاري ومسلم». اهـ.
وما أنكره الدكتور عفا الله عنا وعنه - ناتج عن عدم درايته بعلوم الإسناد وعلوم الاعتقاد لأهل الحديث فحديث الإسراء والمعراج فوق درجات الصحة السبعة، فهو من المتواتر كما بينا.
وإن تعجب فعجب قول الدكتور: «نحن نناقش وننقد خبرة المفكرين الذين سبقوا البخاري.. فلماذا نقف جامدين أمام اختيار البخاري».
قلت: وهذا يدل على عدم دراية الدكتور بمناهج المحدثين، فوضع البخاري مع علماء الكلام المفكرين، ولا يعرف قدر البخاري إلا أهل الحديث فقد ذكر الحافظ ابن حجر في «هدي الساري» (ص٥١٣) قال: «روى البيهقي في المدخل عن الحاكم أبي عبد الله قال: سمعت أبا نصر أحمد بن محمد الوراق يقول: سمعت أحمد بن حمدون القصار وهو أبو حامد الأعمش يقول: سمعت مسلم بن الحجاج وجاء إلى محمد بن إسماعيل البخاري فقبل بين عينيه وقال: دعني حتى أقبل رجليك يا أستاذ الأستاذين، وسيد المحدثين، وطبيب الحديث في علله».
هذا ما وفقني الله إليه وهو وحده من وراء القصد.

الإسلام وبناء الإنسان

إعداد/ أ.د/ السيد عبد الحليم محمد حسين

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، أما بعد:

فإن أول ما يهدف إليه الإسلام هو بناء «الإنسان الصالح» الجدير بأن يكون خليفة الله في الأرض، والذي كرمه الله أفضل تكريم، وخلقه في أحسن تقويم، وسخر له ما في السماوات وما في الأرض جميعًا، فهو إنسان اكتملت فيه خصائص الإنسانية، وارتفع عن حضيض الحيوانية البهيمية أو السَّبُعية، وهذا الإنسان الصالح هو أساس الأسرة الصالحة، والمجتمع الصالح، والأمة الصالحة.

إنسان إيمان وعقيدة

وإنسان الإسلام هو - قبل أي اعتبار - إنسان إيمان وعقيدة، قد اتضحت فكرته عن نفسه، وعن العالم من حوله، فهو ليس نباتًا كنبات البرية، ظهر وحده من غير زارع من البشر زرعه، ولا الكون من حوله برز وحده من غير خالق خلقه ومدبر دبّره، بل هو يؤمن أن له ربًا خلقه فسواه فعدله، وعلمه البيان، ومنحه العقل والإرادة، وأرسل إليه الرسل، وأنزل له الكتب، وأقام عليه الحجة، وعرفه الغاية والطريق.

كما أن هذا العالم البديع وراءه خالقٌ عظيم، خلق كل شيء فقدره تقديرًا، وأعطى كل شيء خلقه ثم هدى، لكن الذي خلقه سيفنيه، ويبدل به عالمًا آخر، هو عالم الخلود، فيه توفى كل نفس ما كسبت، وتُجزى بما عملت، وهم لا يظلمون.

قال تعالى: «وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلًا ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿٢٧﴾ أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ» [ص: ٢٧- ٢٨]؟

وقال جل وعلا: «لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِىِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ۗ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٢٣﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا» [النساء: ١٢٣- ١٢٤].

وبهذا عاش الإنسان المسلم مؤمنًا بالله تعالى، مؤمنًا برسالاته وبجميع كتبه ورسله، وآخرها رسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، مؤمنًا بلقائه تعالى، وحسابه وعدالة جزائه، في يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم، قال سبحانه: «يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَرَضِىَ لَهُۥ قَوْلًا ﴿١٠٩﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ

عِلْمًا ﴿١١٠﴾ ۞ وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَيِّ ٱلْقَيُّومِ ۖ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ﴿١١١﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا » [طه: ١٠٩ - ١١٢].

إن هذا الإيمان هو أول ما يميز الإنسان المسلم، فهو مؤمن بعقيدة جوهرها التوحيد، ومعنى التوحيد: أنه لا خالق إلا الله، ولا معبود إلا الله، فهو يعني توحيد الربوبية، وتوحيد الإلهية، ولا يغني أحدهما عن الآخر، فقد كان مشركو العرب يؤمنون بأن الله هو وحده خالق السماوات والأرض، كما حكى عنهم القرآن: « وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ » [العنكبوت: ٦١].

ومع هذا الإقرار بتوحيد الربوبية، رأيناهم يعبدون مع الله آلهة أخرى، بغير سلطان ولا برهان، إلا دعاوى فارغة، مثل قولهم: «هَٰؤُلَاءِ شُفَعَٰؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ » [يونس: ١٨] وقولهم: «مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ » [الزمر: ٣].

التوحيد أساس الحرية:

والإسلام جاء دعوة تحريرية كبرى، لتحرير الإنسان من كل عبودية لغير الله تعالى: من عبوديته للطبيعة، وللأشياء، في الأرض كانت أو في السماء، ومن عبوديته للحيوان، ومن عبوديته للشيطان، ومن عبوديته للإنسان، سواء كان ملكًا أو كاهنًا، بل من عبوديته لنفسه وهواه، فلا يعبد إلا الله، ولا يشرك به شيئًا، ولهذا كان النبي صلى الله عليه وسلم يبعث برسائله إلى الملوك والأمراء يدعوهم إلى الإسلام ويختم رسائله إليهم بهذه الآية الكريمة: «يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ » [آل عمران: ٦٤].

إنسان نسك وعبادة:

وإنسان الإسلام كذلك، إنسان نسك وعبادة، فهو يعلم أن الكون من حوله خُلق له، أما هو فخلق لله وحده، وبهذا أدرك غاية حياته، وسر وجوده.

فعبادة الله وحده لا شريك له، هي غاية غاياته، فلها خُلق، ومن أجلها سُخر له ما في السماوات وما في الأرض. يقول الله تعالى:

« وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ » [الذاريات: ٥٦ - ٥٨].

إن المخلوقات يخدم بعضها بعضًا - كل جنس يخدم ما كان أعلى منه مرتبة، فالجماد يخدم النبات، والنبات يخدم الحيوان، والحيوان يخدم الإنسان، فمن يخدم الإنسان؟

الإنسان لم يُخلق إلا لخدمة ربه وبارئه، أي لعبادته وعبادته وحده، دون إشراك أحد أو شيء من خلقه في الأرض، أو في السماء.

بهذا بعث الله الرسل على مختلف العصور والأزمان، قال تعالى: « وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ » [النحل: ٣٦]، وقال سبحانه: «وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ » [الأنبياء: ٢٥].

ومن هنا يجب على الإنسان المسلم أن يكون متعبدًا لله تعالى، مؤتمرًا بأمره، منتهيًا عما نهى عنه، جاعلاً خشيته وتقواه نصب عينه، لأن الله تعالى قال: «إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ » [المائدة: ٢٧].

وتتمثل العبادة أول ما تتمثل في إقامة الشعائر الكبرى التي فرضها الإسلام، وجعلها من أركانه العظام، من الصلاة والصيام والزكاة والحج، ثم ما يكملها من الذكر والدعاء وتلاوة القرآن، والتسبيح والتهليل والتكبير.

فالمسلم يذكر ربه في كل حين، وعلى أية حال، في أكله وشربه، وعند نومه وعند يقظته، وفي إصباحه وإمسائه، ولدى مدخله ومخرجه، ويوم سفره وأوبته، وعند لبسه ثوبه، أو ركوبه مركبته، حتى عند ممارسته الغريزية مع أهله لا ينسى في هذه المواقف وغيرها أن يذكر الله تعالى، وهذا هو شأن أولي الألباب، قال تعالى: « ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ » [آل عمران: ١٩١].

وإذا كان أكثر أتباع الأديان لا يعبدون ربهم إلا مرة في كل أسبوع، فإن المسلم على موعد مع الله كل يوم خمس مرات، في صلواته المفروضة، ثم هو مع الله دائمًا بالنوافل

والذكر والدعاء والاستغفار، قال سبحانه: «يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا» [الأحزاب: ٤١- ٤٢].

على أن المسلم يستطيع أن يجعل حياته كلها عبادة إذا التزم منهج الله، وقصد بعمله - حتى الدنيوي - وجه الله تعالى.

إنسان خلق وفضيلة:

والإنسان المسلم - إلى جوار كونه إنسان إيمان وعقيدة، وإنسان نسك وعبادة - هو أيضًا إنسان خلق وفضيلة، تتجسم فيه الطهارة بكل معانيها، وتتمثل فيه فضائل العدل والرحمة والإيثار، قد اتخذ من رسول الله صلى الله عليه وسلم أسوةً حسنة، والذي بعثه الله ليتمم مكارم الأخلاق، ووصفه بأنه على خُلق عظيم، فهو يقتبس من نوره ويهتدي بهداه، ويتخلق بخُلقه، ليكون أقرب إليه يوم القيامة، فهو إنسان قد انتصر على نوازعه وشهواته، حين زكى نفسه بالرياضة والمجاهدة والمراقبة، حتى انتقلت من النفس الأمارة بالسوء إلى النفس اللوامة، وبهذا استحقت الفلاح حين انتصرت فيها التقوى على الفجور، كما قال تعالى: «وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا» [الشمس: ٧- ١٠].

لقد علمنا الإسلام أن الخلق والفضيلة من لوازم العقيدة، وتمام الإيمان، كما أنهما ثمرة لازمة للعبادة الحقة، وإذا لم تثمر العبادة في الخلق والسلوك دل ذلك على أنها عبادة مدخولة.

والقرآن الكريم يحدثنا عن الإيمان مجسدًا في أخلاق وفضائل، كما في قوله تعالى: «قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ﴿٤﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ﴿٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ» [المؤمنون: ١- ٩].

والرسول الكريم صلى الله عليه وسلم يحدثنا عن الإيمان كذلك في صورة أخلاق وأعمال وفضائل، كما في قوله صلى الله عليه وسلم: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليصل رحمه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت» [رواه البخاري ٦١٣٨].

وقال صلى الله عليه وسلم: «الإيمان بضع وسبعون شعبة، أعلاها: لا إله إلا الله، وأدناها: إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان» [مسلم ٣٥].

وقد ألف الإمام البيهقي كتابًا كبيرًا سماه «الجامع لشعب الإيمان». يشمل كل الفضائل وأعمال الخير التي دعا إليها الإسلام، واعتبرها كلها من شعب الإيمان، كما دل على ذلك الحديث.

والعبادات الشعائرية المفروضة من شأنها أن تثمر زكاة النفس بالفضائل، وطهارتها من الرذائل، كما أشار إلى ذلك القرآن الكريم؛ إذ يقول ربنا سبحانه في شأن الصلاة: «إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ» [العنكبوت: ٤٥]، وفي شأن الزكاة: «خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا» [سورة التوبة: ١٠٣]، وفي شأن الصيام: «كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ» [البقرة: ١٨٣].

وفي الحديث: «من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه» رواه البخاري.

«رب صائم ليس له من صيامه إلا الجوع، ورب قائم ليس له من قيامه إلا السهر» رواه ابن ماجه وصححه الألباني.

وخُلق المسلم لا يتجزأ، فهو ليس كخلق اليهودي الذي يحرم الربا في تعامله مع مثله، ويستحله في تعامله مع الآخرين، وليس كخلق إنسان الغرب الاستعماري الذي يتعامل داخل أوطانه بأخلاق وفضائل مثالية، فإذا تعامل مع البلاد الأخرى سرق وظلم، وطغى واستكبر.

المسلم يعدل مع من يحب ومن يكره، مع

القريب الأقرب، ومع العدو الأبعد، قال تعالى: «كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ» [النساء: ١٣٥]، وقال جل وعلا: «وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ» [المائدة: ٨].

إنسان شريعة ومنهج:

والمسلم - فضلاً عن التزامه بالخُلق والفضيلة - هو ملتزم كذلك بمنهج رباني، بشريعة محكمة، مفروضة عليه من ربه، أحلت له الحلال، وحرمت عليه الحرام، وحددت له الواجبات، وبيّنت له الحقوق، وفصّلت له كل ما يحتاج إليه، فلم تدعه هملاً، ولم تتركه نهبًا للفلسفات والأنظمة البشرية المتضاربة، تميل به عن يمين وشمال، بل رسمت له «الصراط المستقيم» وألزمته بالسير فيه، مراعية ما يعرض عليه من ضرورات، فأباحت له بعض ما حظرت عليه بقدر ما توجب الضرورة وحجمها وزمنها، من غير بغي ولا عدوان، كما قال تعالى في شأن الأطعمة المحرمة: «فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ» [الأنعام: ١٤٥].

فالمسلم مقيد في حياته كلها بما أحل الله له، فهو ليس «سائبًا» يفعل ما يشتهي، بل هو منضبط بفعل «ما ينبغي».

فإذا أخذنا الأكل مثلاً، فهو لا يأكل الميتة ولا الدم ولا لحم الخنزير، ولا يأكل من اللحم إلا ما ذبح ذبحًا شرعيًا، أما ما لم يذبح أو ذبح على النصب أو أهل لغير الله به فلا يحل للمسلم أكله.

وكذلك لا يحل له أن يأكل طعامًا غُصب من صاحبه الشرعي، أو سُرق أو أُخذ بالباطل، كما لا يحل له أن يأكل طعام امرئ بغير طيب نفس. والوعيد في ذلك شديد، فكل جسد نبت من سحت فالنار أولى به.

وكذلك لا يحل للمسلم أن يتناول أي طعام أو أي مادة يضره تناولها: لأنه ليس ملك نفسه، والإضرار بنفسه حرام، لأنه قتل بطيء لها، والله تعالى يقول: «وَلَا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا» [النساء: ٢٩].

والرسول صلى الله عليه وسلم يقول: «لا ضرر ولا ضرار» [رواه ابن ماجه وصححه الألباني]، أي: لا تضروا أنفسكم، ولا تضاروا غيركم.

ومن هنا كان تناول «التبغ» وملحقاته، بعد أن ثبت ضرره علمًا وطبًا وواقعًا، حرامًا بلا شك، ومن باب أولى: المخدرات التي هي بمنزلة السموم، فالتحريم في الإسلام يتبع الخبث والضرر، قال تعالى: «وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ» [الأعراف: ١٥٧].

كما أن المسلم لا يشرب الخمر، حفاظًا على عقله وجسمه وخلقه، ويعتبرها أم الخبائث ورجسًا من عمل الشيطان، وكبيرة منافية للإيمان، كما في الحديث الصحيح: «لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن» رواه مسلم، وحتى المأكل الحلال، والمشرب الحلال؛ لا يتناوله المسلم في آنية ذهب ولا فضة، فإن الذي يأكل أو يشرب في آنية الذهب، أو الفضة، إنما يجرجر في بطنه نار جهنم، كما صح بذلك الحديث [متفق عليه].

وهو حين يأكل أو يشرب ما يحل له، لا يتجاوز الحد المناسب، فيدخل في دائرة الإسراف المحرم، كما قال تعالى: «يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ» [الأعراف: ٣١].

والمسلم في علاقاته الأسرية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية مقيد بأحكام الشريعة الإلهية، فهو يتزوج أو يطلق، ويبيع ويشتري، ويستأجر ويؤجر ويكتسب وينفق، ويمتلك ويهب، ويرث ويورث، ويحكم ويحتكم، ويسالم ويحارب، وفقًا لأوامر الشريعة ونواهيها، واقتضائها وتخييرها: «فما أحل الله فهو حلال، وما حرم فهو حرام، وما سكت عنه فهو عفو».

والحديث بقية إن شاء الله.



الأدب مع رسول الله ﷺ

رابعًا: محبة النبي ﷺ

إعداد/ سعيد عامر

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد المصطفى الأمين، وعلى آله وصحبه الطيبين الغر الميامين.. وبعدُ:

فإن الله تعالى قد حبا نبينا محمدًا صلى الله عليه وسلم من الخصائص القوية والصفات العلية والأخلاق الرضية، ما كان داعيًا لكل مسلم أن يُجلَّه ويعظمه ويحبه بقلبه ولسانه وجوارحه.

١- مكانة النبي صلى الله عليه وسلم:

إن شأن رسول الله صلى الله عليه وسلم عند الله عظيم، وقدره كريم، فقد اختاره الله واصطفاه على جميع البشر، وفضَّله على جميع الأنبياء والمرسلين.

شرح الله له صدره، ورفع له ذكره، ووضع عنه وزره، وأعلى له قدره، وزكاه في كل شيء، وأخبر الله عن منزلة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم في الملأ الأعلى عنده وعند الملائكة المقربين، فقال سبحانه: « إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ » [الأحزاب: ٥٦].

وأمر الله أهل الأرض من عباده المؤمنين بالصلاة والسلام على نبيه؛ ليجمع له الثناء من أهل السماء وأهل الأرض، فقال تبارك اسمه: «يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا » [الأحزاب: ٥٦].

وأخبر النبي صلى الله عليه وسلم عن نفسه فقال كما في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مثلي ومثلُ الأنبياء قبلي كمثل رجل بنى بنيانًا فأحسنه وأجمله، إلا موضع لبنة من زاوية من زواياه، فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له، ويقولون: هَلاَّ وُضعت هذه اللبنة». قال: «فأنا اللبنة، وأنا خاتم النبيين»[متفق عليه].

وفي الحديث المتفق عليه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «فُضِّلتُ على الأنبياء بست: أُعطيتُ جوامعَ الكلم، ونُصرت بالرعب، وأُحلت لي الغنائم، وجُعلت لي الأرض طهورًا ومسجدًا، وأُرسلت إلى الخلق كافة، وخُتم بي النبيون»[متفق عليه].

ومن شرفه وفضله صلى الله عليه وسلم: أن الله تعالى وقره في ندائه بأحب أسمائه وأسمى أوصافه، فقال: «يا أيها النبي»، «يا أيها الرسول»، ونادى الله عز وجل الأنبياء بأسمائهم المجردة.

ومن شرفه وفضله صلى الله عليه وسلم: أن الله تعالى أقسم بحياته صلى الله عليه وسلم، ولله أن يُقسم بما شاء، وكيف شاء، بخلاف المخلوقين، فليس لهم أن يقسموا إلا بالله رب العالمين، فقال سبحانه: « لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِى سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ » [الحجر: ٧٢]، وإن حياته صلى الله عليه وسلم لجديرة أن يقسم الله عز وجل بها؛ لما فيها من البركة العامة والخاصة.

أخرج ابن جرير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «ما خلق الله وما برأ وما ذرأ نفسًا أكرم عليه من محمد صلى الله عليه وسلم، وما سمعت الله أقسم بحياة أحد غيره، قال الله تعالى: « لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِى سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ » [الحجرات: ٧٢]».

ومن فضائله ومحاسنه صلى الله عليه وسلم:

إيثاره لأمته على نفسه بدعوته؛ إذ جعل الله لكل نبي دعوة مستجابة، فكل منهم تعجل دعوته في الدنيا، واختبأ النبي صلى الله عليه وسلم دعوته شفاعة لأمته يوم القيامة، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لكل نبي دعوة مستجابة، فتعجل كل نبي دعوته، وإني اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة، فهي نائلة إن شاء الله من مات من أمتي لا يشرك بالله شيئًا» [متفق عليه].

ومن شرفه وفضله صلى الله عليه وسلم: أنه ساد كل الناس ، فعن عبد الله بن سلام رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر، وأول من تنشق عنه الأرض، وأول شافع، بيدي لواء الحمد تحته آدم فمن دونه». وفي رواية: «أنا سيد ولد آدم يوم القيامة، وأول من تنشق عنه الأرض، وأول شافع، وأول مشفع» [متفق عليه].

وقد اختار الله عز وجل لنبيه صلى الله عليه وسلم اسم «محمد» المشتمل على الحمد والثناء، فهو صلى الله عليه وسلم محمود عند الله، ومحمود عند ملائكته، ومحمود عند إخوانه المرسلين، عليهم الصلاة والسلام، ومحمود عند كل ذي عقل من أهل الأرض.

وقد أكرم الله به البشرية المتخبطة في ظلمات الشرك والجهل والخرافة، فكشف به الظلمة، وأذهب الغمة، وأصلح الأمة، فهدى الله به من الضلالة، وعلم به من الجهالة، وأرشد به من الغواية، وفتح به أعينًا عميًا وآذانًا صمًا، وقلوبًا غلفًا، وكثر به القلة، وأعز به بعد الذلة، وأغنى به بعد العَيْلة.

عرَّف الناسَ ربهم ومعبودهم غاية ما يمكن أن تناله قواهم من المعرفة، « أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ » [العنكبوت: ٥١].

وعرفهم الطريق الموصلة إلى ربهم ورضوانه ودار كرامته، ولم يدع صلى الله عليه وسلم شيئًا حسنًا إلا أمر به، ولا قبيحًا إلا نهى عنه.

٢ - محبة الرسول صلى الله عليه وسلم تابعة لمحبة الله تعالى:

إن محبة الرسول صلى الله عليه وسلم أصل عظيم من أصول الإيمان، ولا شك أن محبة النبي صلى الله عليه وسلم تابعة لمحبة الله عز وجل، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «وليس للخلق محبة أعظم ولا أتم من محبة المؤمنين لربهم، وليس في الوجود ما يستحق أن يُحَبَّ لذاته من كل وجه، إلا الله تعالى، وكل ما يُحَبّ سواه فمحبته تَبَعٌ لحبه، فإن الرسول عليه الصلاة والسلام إنما يُحَبّ لأجل الله، ويُطاع لأجل الله، ويُتَّبَع لأجل الله، كما قال تعالى: « قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ » [آل عمران: ٣١].

فمحبة الرسول صلى الله عليه وسلم واجبة، تابعة لمحبة الله، لازمة لها، فإنها محبة لله ولأجله، تزيد بزيادة محبة الله في قلب المؤمن، وتنقص بنقصها، وكل من كان محبًا لله، فإنما يُحَب في الله، ولأجله، كما يُحَب الإيمان والعمل الصالح».

قال ابن القيم: «وكل محبة وتعظيم للبشر، فإنما تجوز تبعًا لمحبة الله وتعظيمه، كمحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم وتعظيمه، فإنها من تمام محبة مُرسِله وتعظيمه، فإن أمته يحبونه لمحبة الله، وكذلك محبة أهل العلم والإيمان ومحبة الصحابة، رضي الله عنهم، وإجلالهم تابع لمحبة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم».

ولذا فإن محبته وتعظيمه صلى الله عليه وسلم من شرط إيمان العبد، بل الأمر كما قال ابن تيمية: «إن قيام المدحة والثناء عليه والتعظيم والتوقير له قيامُ الدين كله، وسقوط ذلك سقوط الدين كله».

وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان؛ أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد أن أنقذه الله منه كما يكره أن يُقذف في النار» [متفق عليه].

يقول ابن تيمية رحمه الله: «أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أن هذه الثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان؛ لأن وجود الحلاوة للشيء يتبع المحبة له، فمن أحب شيئًا واشتهاه، إذا حصل له مراده فإنه يجد الحلاوة، واللذة والسرور بذلك، واللذة أمر يحصل عقيب إدراك الملائم الذي هو المحبوب أو المشتهى». [يُنظر: فتح المجيد ص٣٣٨، ٣٣٩].

وأعظم ما يؤكد هذا ما ثبت عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «والذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحبَّ إليه من والده وولده والناس أجمعين» رواه البخاري.

وعليه فالارتباط بين المحبتين ارتباط شرعي وثيق لا ينفك، فمن ادعى أنه يحب الله، ولم يحب رسول الله صلى الله عليه وسلم فادعاؤه هذا باطل، ومن أحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يحب الله عز وجل، فاعتقاده فاسد، ولذا لا يستحق المؤمن اسم الإيمان بدون محبة الرسول صلى الله عليه وسلم، بل وتقديمها على محبة كل بشر، فمحبة الرسول صلى الله عليه وسلم دليل على كمال الإيمان.

٣ - علامة محبة الرسول صلى الله عليه وسلم:

حقيقة المحبة أن يميل قلب المسلم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ميلاً يتجلى فيه إيثاره صلى الله عليه وسلم على كل محبوب من نفسٍ ووالد وولد والناس أجمعين.

وإذا استقرت شجرة المحبة الصادقة في القلب آتت أكلها كل حين، وأثمرت كل أنواع الاتباع للمحبوب صلى الله عليه وسلم.

يقول ابن القيم: «تالله ما هُزلت فيستامها المفلسون، ولا كَسدت فيبيعها بالنسيئة المعسرون، لقد أقيمت للعرض في سوق من يزيد، فلم يرض لها بثمن دون بذل النفوس، فتأخر البطالون، وقام المحبون ينظرون: أيهم يصلح أن يكون ثمنًا؟ فدارت السلعة بينهم، ووقعت في يد «أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ» [المائدة: ٥٤].

إنه لما كثر المدعون للمحبة طُولبوا بإقامة البينة على صحة الدعوى، فلو يُعطى الناس بدعواهم لادَّعى الخليُّ حرقة الشَّجيِّ، فتنوع المدعون في الشهود، فقيل: لا تقبل هذه الدعوى إلا ببينة: «قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ» [آل عمران: ٣١]، فتأخر الخلق كلهم وثبت أتباع الحبيب في أفعاله وأقواله وأخلاقه، فطولبوا بعدالة البينة بتزكية «يُجَـٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ» [المائدة: ٥٤].

فتأخر أكثر المحبين وقام المجاهدون، فقيل لهم: إن نفوس المحبين وأموالهم ليست لهم، فهلموا إلى بيعة «إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ» [التوبة: ١١١].

فلما عرفوا عظمة المشتري، وفضل الثمن، وجلالة من جرى على يديه عقد التبايع، عرفوا قدر السلعة، وأن لها شأنًا، فرأوا من أعظم الغَبْن أن يبيعوها لغيره بثمن بخس، فعقدوا معه بيعة الرضوان بالتراضي، من غير ثبوت خيار، وقالوا: «والله لا نقيلك ولا نستقيلك».

فلما تم العقد وسلموا المبيع، قيل لهم: مذ صارت نفوسكم وأموالكم لنا، رددناها عليكم أوفر ما كانت وأضعافها معًا: «وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾ ۞ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ» [آل عمران: ١٦٩- ١٧١].

إنه إذا غُرست شجرة المحبة في القلب، وسُقيت بماء الإخلاص ومتابعة الحبيب، أثمرت أنواع الثمار، وآتت أكلها كل حين بإذن ربها، أصلها ثابت في قرار القلب، وفرعها متصل بسدرة المنتهى». [راجع مدارج السالكين ٨/٣: ٩].

وللحديث بقية، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وآله وصحبه، والحمد لله رب العالمين.

فتاوى

من فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء

حكم الكولونيا والكحول

س: ما حكم الكولونيا والكحول إذا استعملت لأغراض طبية كتطهير جروح وتعقيم، وما حكم البيرة، وما رأيكم في البيرة التي يكتب عليها: خالية من الكحول؟

الجواب: الكولونيا والكحول إذا استعمل لأغراضٍ طبية كتطهير جروح وتعقيم فلا بأس بذلك، والبيرة إذا كانت مشتملة على شيء من الكحول ولو كان قليلاً إذا كان كثيره يسكر فلا يجوز استعمالها، وإذا كانت خالية من الكحول فالأصل في الأشياء الحل.

وبالله التوفيق، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

الخل إذا أضيف إليه مسكرات

س: ما حكم تناول الخل إذا أضيف إليه شيء من المسكرات؟

الجواب : لا يجوز وضع شيء مما يسكر فيما يراد استعماله دواء أو طعامًا أو شرابًا ، ولا فيما يراد استخراج الطعام أو الشراب أو الإدام منه ، سواء كان ذلك المسكر نبيذا أم بيرة أم غيرهما .

وقد صدرت فتوى اللجنة الدائمة في حكم خلط الدواء بكحول وفي حكم تعاطيه هذا نصها : (لا يجوز خلط الأدوية بالكحول المسكرة لكن لو خلطت بالكحول جاز استعمالها إن كانت نسبة الكحول قليلة لم يظهر أثرها في لون الدواء ولا طعمه ولا ريحه ولا السكر بشربه وإلا حرم استعمال ما خلط بها) . وبالله التوفيق وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم .

الأطعمة المستوردة

س: تثار شبهات حول بعض الأطعمة كالسمن الهولندي والكوكاكولا وغير ذلك، كالأطعمة المستوردة، فهل الاشتباه في حرمة هذه الأطعمة يجعل الأفضل في حق المشتبه فيها أن لا يأكلها؟

الجواب: الأصل حل تناول ما ذكر أكلاً وشربًا، حتى يثبت ما يوجب حرمته من خلط السمن ونحوه بشحم خنزير أو ميتة مثلاً، أو بذبح الطيور أو الأنعام على غير الطريقة الشرعية من صعق أو خنق أو غير ذلك.

وبالله التوفيق، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم



التنفس في الشراب «أثناء الشرب»

س: ما حكم التنفس والنفخ في الشراب؟

الجواب: لا يجوز التنفس ولا النفخ في الإناء عند الشرب؛ لما في الصحيحين عن أبي قتادة رضي الله عنه ، أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى أن يُتنفس في الإناء، وفي سنن الترمذي عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن النفخ في الشراب، فقال رجل: القذاة أراها في الإناء، فقال: «أهرقها». قال: إني لا أروى من نفس واحد، قال: «أَبِنْ القدح إذًا عن فيك». وقال الترمذي: حديث حسن صحيح.

وبالله التوفيق، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم .

ماء الشعير

س: ما رأي الدين في ماء الشعير المعبأ في زجاجات تباع ونشربها؛ لأنها مكتوب عليها: «خالية تمامًا من الكحول» وثقة منا بان المسئولين لا يسمحون إطلاقًا ببيع شراب فيه كحول في هذه البلاد الطاهرة، إلا أننا سمعنا من بعض الناس أنهم حللوا ماء الشعير الموجود في الزجاجات المكتوب عليها: «ماء شعير خالي من الكحول» فوجدوا فيه كحول بنسبة ٢٪ إلى ٩٪ .

الجواب: إذا كان الشرب الذي به نسبة من الكحول يسكر شرب الكثير منه حرم شرب كثيره وقليله، وحرم بيعه وشراؤه، ووجبت إراقته؛ لأنه خمر، وإن كان شرب الكثير منه لا يسكر جاز بيعه وشراؤه وشربه.

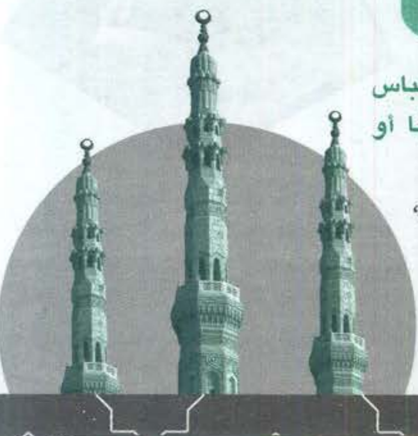
وبالله التوفيق، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

المباشرة ليست الزنا الذي يقام به الحد

س: الزنا بامرأة نصرانية من شخص مسلم من فوق اللباس وليس مباشرة، ما الحكم على هذا الشخص إذا كان متزوجًا أو عازبًا؟

الجواب: من فعل هذا فهو آثم، وعليه التوبة والاستغفار، وإذا ثبت عليه ذلك عند ولي الأمر دون إيلاج عزّره بما يراه رادعًا له.

وبالله التوفيق، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.



شبهات حول الصحابة

موقعة صفين

الحلقة الثانية

إعداد/ أسامة سليمان



الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده... وبعد:

فإن وقعة صفين كانت من أعجب المواقع بين المسلمين في بواعثها وفي طريقة أدائها وآثارها، فبواعثها في نفوس جنود الفريقين كانت عن قناعة وإيمان كامل ولم يدفعا إليها من قيادتهما دون إيمان، فهي ليست مدفوعة من القادة؛ حيث كان يرى كل فريق أنه على الحق، ومع ذلك كانوا إخوة متحابين يذهبون معًا إلى مكان الماء فيستبقون ويزدحمون فما يؤذي أحدهم الآخر، وإذا ما توقف القتال يجلس بعضهم مع بعض يتحدثون، وإذا ما كان وقت الصلاة توقف القتال لأدائها، ولذا كانت معاملة الأسرى من الفريقين تعبر عن روح الأخوة الإيمانية الصادقة بين الفريقين من حيث إطعامه والإحسان إليه وعدم قتله جبرًا، وذلك بعد التحفظ عليه إن أبى البيعة والدخول في الطاعة، ولذا قال عن هذه الحرب محب الدين الخطيب: «هي الحرب الإنسانية الأولى في التاريخ». [خلافة علي ص٢٤٥].

ومع تفاوت أقوال العلماء في عدد قتلى الفريقين التي عدها بعض المؤرخين سبعين ألفًا، فإن عدد ساعات القتال والصدام الحقيقي الذي يقترب من ثلاثين ساعة في أيام ثلاثة يصعب معه عقلاً التسليم بهذا العدد الكبير. [راجع سيرة علي، للصلابي ص٤٨٢].

وكان أمير المؤمنين علي رضي الله عنه يتفقد القتلى ويترحم عليهم، فعن يزيد بن الأصم قال: لما وقع الصلح بين معاوية وعلي، خرج عليّ فمشي في قتلاه فقال: هؤلاء في الجنة، ثم خرج إلى قتلى معاوية، فقال: هؤلاء في الجنة، ويصير الأمر إليّ وإلى معاوية. [مصنف ابن أبي شيبة ٧٦/١١].

ولما حاول ملك الروم أن يستغل ذلك الخلاف وطمع في بعض الأراضي التي كانت تحت سيطرة معاوية كتب إليه معاوية: والله لئن لم تنته وترجع إلى بلادك يا لعين لأصطلحن أنا وابن عمي عليك ولأخرجنك من جميع بلادك ولأضيقن عليك الأرض بما رحبت، فخاف ملك الروم وبعث يطلب الهدنة. [البداية

والنهاية ٨/١٢٢].

ولما بلغ علياً رضي الله عنه أن اثنين من أصحابه يظهران شتم معاوية رضي الله عنه ولعن أهل الشام، أرسل إليهما أن كفا عما بلغني عنكما فأتياه وقالا: يا أمير المؤمنين، ألسنا على الحق وهم على الباطل؟ قال: بلى ورب الكعبة، قالا: فلم تمنعنا من شتمهم ولعنهم؟ قال: كرهت لكم أن تكونوا لعّانين، ولكن قولوا: اللهم احقن دماءنا ودماءهم وأصلح ذات بيننا وبينهم، وأبعدهم من ضلالتهم حتى يعرف الحق من جهله، ويرعوي عن الغي من لجج به. [مواقف الصحابة في الفتنة ٢/٢٣٢].

ومن هنا فإياك أخي أن تصدق روايات الشيعة الأشرار من أن عليًا كان يلعن في قنوته معاوية وأصحابه، وأن معاوية كان يلعن عليًا وابن عباس والحسن والحسين، فهذا إفك وافتراء في حق الصحابة الأبرار الذين كانوا يتقيدون بقيد الشرع الذي نهاهم عن السب واللعن ؛ حيث قال صلى الله عليه وسلم: «ليس المؤمن بطعان ولا لعان». [صحيح سنن الترمذي: ٢/١٨٩].

وقال صلى الله عليه وسلم: «لعن المؤمن كقتله». [البخاري، الأدب المفرد ٧/٨٦]. وقال صلى الله عليه وسلم: «لا يكون اللعانون شفعاء ولا شهداء يوم القيامة». [مسلم: ٢٥٩٨].

فضلاً عن أن رواية لعن معاوية لبعض الصحابة في سندها أبو مخنف الرافضي المحترق الكذاب الذي لا يوثق في روايته، فضلاً عن أن الشيعة في أصح كتبهم جاء فيها النهي عن سبّ الصحابة. [راجع أصول مذهب الشيعة ص٩٣٢].

ومن ذلك أيضًا ما نسبه الرافضة إلى عمرو بن العاص بصفين من أن عليًا قابله يوم صفين فطعنه وصرعه فاتقاه عمرو برجله فبدت عورته، فصرف عليّ وجهه عنه وأفلت عمرو، وهذه الرواية رواها نصر بن مزاحم الشيعي الجلد الكذاب الذي قال عنه الذهبي في «الميزان»: نصر بن مزاحم الكوفي إمامي جلد تركوه، وقال عنه العقيلي: شيعي في حديثه اضطراب وخطأ كثير، وقال عنه ابن حجر: كان إماميًا غاليًا ليس بثقة ولا مأمون». [راجع المجروحين لابن حبان ٣/٩١].

وأكاذيب الشيعة الإمامية وافتراءاتهم على الصحابة كثيرة متعددة، فخذ حذرك أخي منها لاسيما أن بعضها ذاع وانتشر في ساحة التراث الإسلامي الذي وصل المحققين من أهل السنة متأخرين، فكن على حذر وبصيرة من روايات الرافضة الهالكة.

وتوقف القتال بعد أن اتفق الفريقان على التحكيم الذي يعني أن يحكم كل واحد من الفريقين رجلاً، فيتفقان على ما فيه مصلحة المسلمين، فحكّم عليٍ رضي الله عنه أبا موسى الأشعري، وحكّم معاوية رضي الله عنه عمرو بن العاص، وكتبت وثيقة بين الفريقين في دومة الجندل سنة ٣٧هـ، بيد أن فريقًا من جيش علي رضي الله عنه رأى أن قبوله للتحكيم ذنب يوجب الكفر، عليه أن يتوب منه وخرجوا عليه فسموا بالخوارج وأرسل إليهم علي رضي الله عنه ابن عباس رضي الله عنهما فناظرهم وجادلهم فعاد منهم الكثير عن رأيه إلا أن طائفة منهم تمسكوا بعقيدتهم الفاسدة فقاتلهم علي رضي الله عنه في النهروان... وقضى عليهم لكن هذه المعركة أضعفت جيشه وأنهكت قوة أصحابه.

وتُعد قضية التحكيم من أهم وأخطر الموضوعات في تاريخ الخلافة الراشدة؛ حيث سقطت فيها أعلام وضلت فيها أقدام وانحرفت فيها أفهام فراحت تصف الصحابة بصفات تناقض الأدلة الصحيحة وتصطدم مع أصول الشريعة، من ذلك وصف بعضهم لأبي موسى الأشعري بأنه كان ضعيف الشخصية يُخدع بالقول، على جانب كبير من الغفلة، وأن عمرو بن العاص خدعه وتلاعب به حيث كان عمرو مخادعًا ماكرًا، وهذا سوء أدب وطعن في صحابيين جليلين من أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم، وقد تلقى تلك الروايات الكاذبة بعض المؤرخين والباحثين

والأدباء من أهل السنة وراحوا يرددونها وينقلونها في مصنفاتهم مع تهالكها وكذبها.

واليك أخي صيغة الوثيقة التي اتفق عليها الحكمان رضي الله عنهما لوقف القتال وحقن الدماء:

١- هذا ما تقاضى عليه علي بن أبي طالب، ومعاوية بن أبي سفيان وشيعتهما، فيما تراضيا فيه من الحكم بكتاب الله وسنة نبيه - صلى الله عليه وسلم -.

٢- قضية علي على أهل العراق شاهدهم وغائبهم، وقضية معاوية على أهل الشام شاهدهم وغائبهم.

٣- إنا تراضينا أن نقف عند حُكم القرآن فيما يحكم من فاتحته إلى خاتمته، نحيي ما أحيا ونميت ما أمات. على ذلك تقاضينا وبه تراضينا.

٤- وإن عليًا وشيعته رضوا بعبد الله بن قيس ناظرًا وحاكمًا، ورضي معاوية بعمرو بن العاص ناظرًا وحاكمًا.

٥- على أن عليًا ومعاوية أخذا على عبد الله بن قيس وعمرو بن العاص عهد الله وميثاقه وذمته وذمة رسوله، أن يتخذا القرآن إمامًا ولا يعدُوَا به إلى غيره في الحكم بما وجداه فيه مسطورًا، وما لم يجدا في الكتاب رداه إلى سنة رسول الله الجامعة، لا يعتمدان لها خلافًا، ولا يبغيان فيها بشبهة.

٦- وأخذ عبد الله بن قيس وعمرو بن العاص على علي ومعاوية عهد الله وميثاقه بالرضا بما حكما به مما في كتاب الله وسنة نبيه، وليس لهما أن ينقضا ذلك ولا يخالفاه إلى غيره.

٧- وهما آمنان في حكومتهما على دمائهما وأموالهما وأشعارهما وأبشارهما وأهاليهما وأولادهما، ما لم يَعْدُوَا الحق، رضي به راض أو سخط ساخط، وإن الأمة أنصارهما على ما قضيا به من الحق مما في كتاب الله.

٨- فإن توفى أحد الحكمين قبل انقضاء الحكومة، فلشيعته وأنصاره أن يختاروا مكانه رجلاً من أهل المعدلة والصلاح، على ما كان عليه صاحبه من العهد والميثاق.

٩- وإن مات أحد الأميرين قبل انقضاء الأجل المحدود في هذه القضية، فلشيعته أن يولوا مكانه رجلاً يرضون عدله.

١٠- وقد وقعت القضية بين الفريقين والمفاوضة ورفع السلاح.

١١- وقد وجبت القضية على ما سميناه في هذا الكتاب، من موقع الشرط على الأميرين والحكمين والفريقين، والله أقرب شهيد وكفى به شهيدًا، فإن خالفا وتعديا، فالأمة بريئة من حكمهما، ولا عهد لهما ولا ذمة.

١٢- والناس آمنون على أنفسهم وأهاليهم وأولادهم وأموالهم إلى انقضاء الأجل، والسلاح موضوعة، والسبل آمنة، والغائب من الفريقين مثل الشاهد في الأمر.

١٣- وللحكمين أن ينزلا منزلاً متوسطاً عدلاً بين أهل العراق والشام.

١٤- ولا يحضرهما فيه إلا من أحبّا عن تراض منهما.

١٥- والأجل إلى انقضاء شهر رمضان، فإن رأى الحكمان تعجيل الحكومة عجلاها، وإن رأيا تأخيرها إلى آخر الأجل أخّراها.

١٦- فإن هما لم يحكما بما في كتاب الله وسنة نبيه إلى انقضاء الأجل، فالفريقان على أمرهما الأول في الحرب.

١٧- وعلى الأمة عهد الله وميثاقه في هذا الأمر، وهم جميعًا يد واحدة على ما أراد في هذا الأمر إلحادًا أو ظلمًا أو خلافًا.

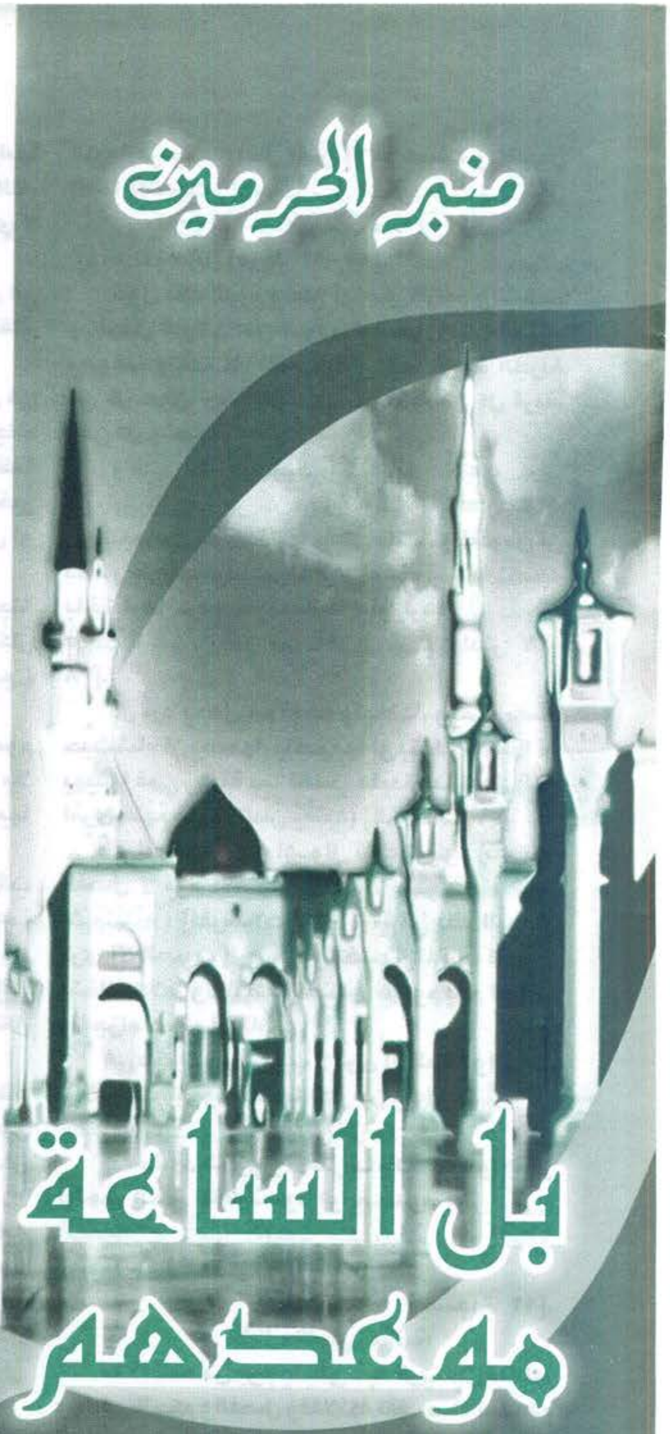
وشهد على ما في هذا الكتاب الحسن والحسين ابنا علي، وعبد الله بن عباس، وعبد الله بن جعفر بن أبي طالب، وغيرهم من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الأبرار الأطهار.

وحول قصة التحكيم وردت روايات تلقاها البعض على أنها حقيقة ثابتة مع ضعفها وكذبها في كثير من الأحيان الأمر الذي دفع ابن العربي لردها إجمالاً، وفي هذا أدلة على قوة حاسته النقدية للنصوص. [راجع سيرة علي الصلابي ص٥٠٣].

وللحديث بقية إن شاء الله تعالى.

منبر الحرمين

بل الساعة موعدهم



إعداد/ فضيلة الشيخ
أحمد بن عبد العزيز الشاوي
إمام مسجد عوف بن مالك بالقصيم

الحمد لله الغفور الشكور يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، يحيي الموتى، ويبعث من في القبور، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله النبي الشكور الصبور، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه دعاة الهدى والنور وسلم تسليمًا.

الدنيا ليست دار جزاء:

يعيش المؤمن في دنياه في همّ وعناء يصارع الابتلاءات والأدواء، ويعاني من ظلم وكيد الأعداء ويتذوق الفقر واللؤم، ويموت ولم يذق من الحياة زينتها، ولم يتذوق من الشهوات طيبها.

يعيش المجرمون في رغد من العيش يستعبدون الناس يقتلون فريقًا، ويؤثرون فريقًا، قد حيزت لهم الدنيا بحذافيرها، يحاربون دين الله ويؤذون أولياء الله، ثم يفارقون الحياة، ولم يجدوا على طغيانهم عقابًا، ولم يروا حسابًا ولا عذابًا.

يعيش الداعية والمحتسب يقاوم الفساد والانحلال، ويقابل بالظلم والإذلال، وقد يغادر الحياة دون أن يذهب غيظ قلبه، ويشفي صدره ممن ظلمه، فهل ربنا يخذل أولياءه؟! حاشاه ربي وهو الحكم العدل الذي قضى وحكم وسنته لا تتبدل (إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ) [غافر: ٥١].

وقضاؤه لا يتحول (وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ) [إبراهيم: ٤٢].

أجل، فالله هو الحكم العدل، وربك لا يخلف الميعاد، لكنه لم يجعل الدنيا دارًا للمكافأة والجزاء، ولا محلًا للثواب والعقاب، وإنما أخر ذلك ليوم موعود (ذَٰلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ) [التغابن: ٩] يوم يقوم الناس لرب العالمين، وما يرسله من عقوبات عاجلة، فإنما هي جنة في مقابل عذاب يوم عظيم.

ثمرات الإيمان بالآخرة:

إن الذي يعيش بلا عقيدة في الآخرة يعيش في عذاب نفسي لا أمل له، ولا رجاء ولا عدل ولا جزاء ولا عوض عما يلقاه في الحياة..

وفي الحياة مواقف وابتلاءات لا يقوى الإنسان

على مواجهتها إلا وفي نفسه رجاء الآخرة وثوابها للمحسن وعقابها للمسيء وابتغاء وجه الله، والتطلع إلى رضاه في ذلك العالم الآخر الذي لا تضيع فيه صغيرة ولا كبيرة.

إن الإيمان بالآخرة يؤدي دوره الأساس في إفاضة الأمن على روح المؤمن وعالمه، ونفي القلق والسخط والقنوط.

إن الحساب الختامي والجزاء الأكبر ليس في هذه الأرض، والجزاء الأوفى ليس في هذه العاجلة، إن الحساب الختامي هناك، والعدالة المطلقة مضمونة في هذا الحساب؛ فلا ندم على الخير والجهاد في سبيل الله إذا لم يتحقق في الأرض أو لم يلق جزاءً..

ولا قلق على الأجر إذا لم يوفَ في هذه العاجلة بمقاييس الناس فسوف يوفى بميزان الله (وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ) [إبراهيم: ٤٧].

الإيمان بالآخرة حاجز دون الصراع المحموم الذي تداس فيه القيم وتداس فيه الحرمات بلا تحرج ولا حياء، فهناك الآخرة فيها عطاء وفيها غَنَاء، وفيها عوض عما يفوت..

الإيمان بالآخرة هو الضمان ليقظة القلب وتطلعه إلى ما عند الله واستعلائه على متاع الأرض وترفعه على متاع الدنيا، ومراقبة الله في السر والعلن، وفي الدقيق والجليل والوصول إلى درجة الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك..

إنه ليس شيء يدفع للعمل والبذل والعطاء والإخلاص ولا شيء يردع عن العصيان والتقصير والطغيان مثل تذكر ذلك اليوم الذي يجعل الولدان شيبًا..

أو لم يكف ذلك اليوم شدة وهولاً أن الشمس فيه تكور والنجوم تنكدر والبحار تُسَجَّر والجبال تسير والعشار تعطل والوحوش تحشر.. و(يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ) [الحج: ٢].

أو ليس كافيًا في شدته أنه يوم تنشغل فيه كل نفس بأمرها ولا تلتفت إلى سواه (يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَٰدِلُ عَن نَّفْسِهَا وَتُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ) [النحل: ١١١].

والتبعة فردية والحساب شخصي، وكل نفس مسئولة عن نفسها ولا تغني نفس عن نفس شيئًا، التبعة فردية فلا تنال نفس إلا ما كسبت ولا تحمل إلا ما اكتسبت (إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَرْدًا) [مريم: ٩٣- ٩٥].

هول ذلك اليوم يقطع أواصر الرحم والنسب، ويشغل الوالد عن الولد، ويحول بين المولود والوالد، وتقف كل نفس فيه وحيدة فريدة مجردة من كل عون، ومن كل سند، موحشة من كل قربة، ومن كل وشيجة.

(يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱخْشَوْا۟ يَوْمًا لَّا يَجْزِى وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔا) [لقمان: ٣٣]، إنها تبعة كل نفس لذاتها وعلى ذاتها، وللنفوس أن تختار طريقها ومصيرها وهي مأخوذة بما تكسبه باختيارها مرهونة بأعمارها وأوزارها (لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ ﴿٣٧﴾ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ) [المدثر: ٣٧- ٣٨].

كل فرد يحمل هم نفسه وتبعتها، ويضع نفسه حيث شاء أن يضعها، يتقدم بها أو يتأخر يكرمها أو يهينها فهي رهينة بما تكسب مقيدة بما تفعل (لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيه) [النازعات: ٣٧].

أو لم يكفِ من أهوال ذلك اليوم أنه يوم الفصل لا يوم الاعتذار (هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ ﴿٣٥﴾ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ) [المرسلات: ٣٥- ٣٦] في ذلك اليوم لا ترى إلا الصمت الرهيب، والخشوع المهيب الذي لا يتخلله كلام، ولا يقطعه اعتذار، فاليوم يوم العقاب والجزاء لا يوم العتاب..

في ذلك اليوم الرهيب لا ترى إلا البكاء والعويل والأمنيات والتوسلات ما أكثر من يقول: (لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ) [الزمر: ٥٨] .

إنه مشهد الخزي والاعتراف بالخطيئة والإقرار بالحق الذي طالما نسوه أو جحدوه (وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا۟ رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَٱرْجِعْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ) [السجدة: ١٢].

الآمال والأماني الضائعة:

ما أعظمه من يوم يتجلى فيه الرب جل جلاله، ويتولى الحكم والفصل والملائكة تقف صفًا صفًا ثم يجاء بجهنم فتقف هي الأخرى متاهبة..

(يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنسَانُ) يومئذ يتذكر الإنسان ويتعظ، يومئذ يتذكر الإنسان الحق ويتعظ بما يرى ولكن بعد فوات الأوان، (وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ) [الفجر: ٢٣] وحين تتجلى الحقيقة يقول يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى قَدَّمْتُ لِحَيَاتِى) [الفجر: ٢٤] هنا فهي الحياة الحقيقة..

إنها الآمال والأماني الضائعة ﴿فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ قَدْ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ [الأعراف: ٥٣]!!

ولكن يا حسرة على العباد تتاح لهم فرص النجاة فيعرضون عنها، ويفتح الله لهم أبواب رحمته ولكنهم يتجافون عن أبواب الرحمة وهو يناديهم ﴿اسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ مَا لَكُم مِّن مَّلْجَإٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُم مِّن نَّكِيرٍ﴾ [الشورى: ٤٧].

ما أعظم ذلك اليوم ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلًا﴾ [المزمل: ١٤] ﴿فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا ۝ السَّمَاءُ مُنفَطِرٌ بِهِ كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولًا﴾ [المزمل: ١٧- ١٨].

ما أعظم ذلك اليوم الذي ترى فيه الإنبياء على جلالة قدرهم ونداؤهم وشعارهم «ربِّ سَلِّمْ سَلِّمْ».

ما أعظم ذلك اليوم حين تقع الواقعة ﴿لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ ۝ خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ﴾ [الواقعة: ٢- ٣] تخفض أقدارًا كانت رفيعة في الأرض، وترفع أقدارًا كانت خفيضة في دار الفناء، حيث تختل الاعتبارات والقيم ثم تستقيم في ميزان الله.

ما أعظم ذلك اليوم ﴿يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُ وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾ [طه: ١٠٨] ويخيم الصمت الرهيب والسكون الغامر ويخيم الجلال على الموقف كله وتغمر الساحة، التي لا يحدها البصر تغمرها رهبة وصمت وخشوع، والسؤال خافت، والخشوع ضاف، والوجوه عانية، وجلال الحي القيوم يغمر الوجوه بالجلال، والظالمون يحملون ظلمهم فيلقون الخيبة والضلال والعمى ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ﴾ [طه: ١٢٤].

إنه يوم زحام وخصام، يوم ذل ومهانة، يوم عصيب، يوم عسير على الكافرين والظالمين غير يسير، حيث تنشر صحف الأعمال ﴿وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ﴾ [التكوير: ١٠] فلم تعد خافية ولا غامضة، وهذه العلنية أشد على النفوس وأنكى..

فكم من سوءة مستورة يخجل صاحبها ذاته من ذكرها. فإذا هي في ذلك اليوم منشورة مشهودة..

إنه يوم عسير، يوم يقوم الناس لرب العالمين، حسبك هولا وشدة أن في ذلك اليوم تدنو الشمس من الخلائق قدر ميل، فيكون الناس على قدر أعمالهم في العرق، فاستدفعوا يا عباد الله حر ذلك اليوم بعمل يظلكم بظل عرش الله يوم لا ظل إلا ظله..

يا معشر الدعاة والمحتسبين إذا أوذيتم وعوديتم فتذكروا أن الله ليس بغافل عما يعمل الظالمون ﴿إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ﴾ [إبراهيم: ٤٢].

وويل ثم ويل ثم ويل لمن قضى أو حكم ظلمًا ويل لهم من ﴿يَوْمَ الْآزِفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاظِمِينَ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ۝ يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ ۝ وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ﴾ [غافر: ١٨- ٢٠].

يا معشر الأغيار إذا رأيتم أهل التغريب والعلمنة وقد أظهروا في الأرض الفساد، فقاوموا فسادهم وواجهوا باطلهم، فإذا أوذيتم أو لم يتحقق مرادكم فلا تعجلوا عليهم إنما يعد لهم ربهم عدًا، ويملي لهم ليزدادوا إثمًا، ويستدرجهم من حيث لا يعلمون..

ويوم القيامة تراهم خاشعين من الذل ينظرون من طرف خفي، وسيبدو لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون، وسيبدو لهم سيئات ما عملوا وسيحيق بهم ما كانوا به يستهزئون.

يا معشر الدعاة والمربين.. إذا رأيتم المذنبين والمفرطين في جنب الله فلا تخوفوهم بالأمراض والأعراض والخسف والمسخ، فإنهم ربما رأوا ضدها وإنما أنذروهم يوم الحسرة وقولوا لهم: ألا تظنون أنكم مبعوثون ﴿لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ۝ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [المطففين: ٤- ٥].

يا معشر المسلمين حينما نضعف أمام الشهوات ونتراخى عن العبادات فليس من رادع ينفع وليس من وازع يدفع أعظم من تذكر يوم الدين يوم يقوم الناس لرب العالمين، فحلقوا في سماء الآخرة وتذكروا يوما يفر فيه المرء من أخيه وأمه وأبيه..

يوما لا ترى فيه إلا وجوها مسفرة ضاحكة مستبشرة، أو وجوها عليها غبرة ترهقها قترة، فانظر لنفسك ماذا أنت تختار، وإن سولت لك نفسك أمرًا فقل ﴿إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [الأنعام: ١٥].

ولو أننا جعلنا الآخرة أكبر همنا ومنتهى أمانينا وقصارى تفكيرنا لما وجدنا القلوب القاسية والنفوس المعرضة، والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم.

إن تذكر الآخرة والإيمان بها يستلزم الاستعداد لها بالعمل الصالح، إن التخويف بالآخرة لا يعني أن يعيش الناس فزعين قلقين يرتجفون من الشدائد والأهوال، فالفزع الدائم من المجهول والقلق الدائم من المستقبل منغصات قد تشل طاقة البشر وتبددها، وقد تنتهي بهم إلى اليأس من العمل والإنتاج

وتنمية الحياة وعمارة الأرض..

إنما يريد الله منهم اليقظة والإحساس والتقوى ومراقبة النفس والعظة بتجارب البشر وإدامة الاتصال بالله وعدم الاغترار بطراوة العيش ورخاء الحياة.

إن تذكر الآخرة والاستعداد لها يعني التوبة والرجوع إلى الله والتسابق إلى الخيرات والمنافسة على الجنات إن الأبرار يطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا، ودافعهم أنهم يخافون (يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا) [الإنسان: ٧] ويقولون (إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا) [الإنسان: ١٠].

وإن رجال المساجد لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة، والسبب لأنهم (يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ) [النور: ٣٧].

وإن القانتين آناء الليل سجدًا وقيامًا إنما يحدوهم الحذر من الآخرة ورجاء رحمة الله، (أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ) [الزمر: ٩].

يا معشر المسلمين ما لنا نرى الناس يتصارعون في سبيل الدنيا، ومن أجلها يوالون ويعادون ومن أجل حطامها يكدحون ويتعبون، ما للناس اليوم (يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ) [الروم: ٧].

هل رواد المساجد كرواد الأسواق؟ وهل المترددون على الحلقات كالساهرين بالاستراحات؟ وهل من يصطفون عند البنوك كعدد الذين يصلون الفجر؟ (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَاخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنْ وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ) [الحج: ١].

يا أيها الناس استيقظوا من رقدتكم إن هناك ربًا سيحاسب، وإن هناك تقديرًا وإن هناك ابتلاءً وإن هنالك تبعات، وإن هنالك حسابًا وجزاءً، وإن هنالك عذابًا شديدًا ونعيمًا كبيرًا..

كثيرون هم المسلمون اليوم، ولكن قليل من يؤمن بالآخرة عين يقين، قليل من يخشى ذلك اليوم ويعمل له، وإن الإيمان الصحيح متى استقر في القلب ظهرت آثاره في السلوك.

قال الحسن البصري رحمه الله «هيهات هيهات! أهلك الناس الأماني، قول بلا عمل، ومعرفة بغير صبر، وإيمان بلا يقين، ما لي أرى رجالاً ولا أرى عقولاً! وأسمع حسيسًا ولا أرى أنيسًا! دخل القوم والله ثم خرجوا، وعرفوا ثم أنكروا، وحرموا ثم استحلوا، إنما دين أحدكم لعقة على لسانه، إذا سُئل أمؤمن أنت بيوم الحساب؟ قال: نعم! كذب، ومالك يوم الدين..»

ويقول بلال بن سعد: «يَا أَهْلَ الْخُلُودِ، وَيَا أَهْلَ الْبَقَاءِ، إِنَّكُمْ لَمْ تُخْلَقُوا لِلْفَنَاءِ، وَإِنَّمَا خُلِقْتُمْ لِلْبَقَاءِ، وَإِنَّمَا تُنْقَلُونَ مِنْ دَارٍ إِلَى دَارٍ، كَمَا نُقِلْتُمْ مِنَ الْأَصْلَابِ إِلَى الْأَرْحَامِ، وَمِنَ الْأَرْحَامِ إِلَى الدُّنْيَا، وَمِنَ الدُّنْيَا إِلَى الْقُبُورِ، وَمِنَ الْقُبُورِ إِلَى الْمَوْقِفِ، وَمِنَ الْمَوْقِفِ إِلَى الْخُلُودِ فِي الْجَنَّةِ أَوْ فِي النَّارِ».

يا ابن آدم خفف من ظهرك، إن ظهرك لا يطيق كل الذي تحمله عليه من ظلم هذا وأكل مال هذا أو شتم هذا..

يا أيها الإنسان: إن عبارات الندم والتحسر وكلمات التمني والرجاء عند الموت ويوم الحساب ليست لأجل دنيا أو شهوة نفس، ولكنها ندم على طاعة قد فوتت ومعصية قد ارتكبت وأمنية بتأخير الأجل لإحسان العمل (حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ) [المؤمنون: ٩٩] (وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنسَانُ وَأَنَّىٰ لَهُ الذِّكْرَىٰ ﴿٢٣﴾ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي) [الفجر: ٢٣- ٢٤].

أخي المسلم: فكر فيما كنت تكابد من ألم الطاعة، فإذا الألم يذهب وسيبقى الثواب، وانظر إلى ما استمتعت به لذة المعصية، فإذا هو سيذهب ويبقى الحساب، فستندم على كل لحظة لم تجعلها في طاعة.

إن المقاييس كلها تتبدل ساعة الموت وإذا كل ما كنت تحبه وتنازع عليه قد صار عدمًا وإذا لم تأخذ منه معك شيئًا..

بنيت دارًا فما حملت معك منها حجرًا، واقتنيت مالاً فما كان لك منه إلا ما ظننت من قبل أنك خسرته وهو ما أخرجته لله، وعرفت لذائذ الحياة كلها فما الذي بقي في يدك حين الموت من لذائذ الحياة كلها؟!

إن المسلم الحق لا تغره الحياة ولا تخدعه فيكون عمله لها واطمئنانه بها، وليس هو بالشارد عن الحياة الهارب إلى قمم الجبال والفلوات يتعبد لله في صومعة، وهو يدرك أن الدنيا معبر وطريق، وأنها فانية زائلة فيجعلها مزرعة للآخرة، ويستعمرها بأمر الله، ويسيرها كما يحب الله ويكون في الدنيا بجسده ويعمل هنا وقلبه وغايته، هناك يعمل لدنياه كأنه يعيش أبدًا ويعمل لآخرته كأنه يموت غدًا.

اللهم لا تجعل الدنيا أكبر همنا ولا مبلغ علمنا..

والحمد لله رب العالمين.

